الحوار
مناهجه وآثاره

بدر الحسن القاسمي

(نائب رئيس مجمع الفقه الإسلامي الهند)

حقوق الطبع محفوظة

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

الحوار – مناهجه وآثاره

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ضرورة تصحيح المفاهيم من خلال تفعيل سبل الحوار

لما كان الغرب هو المسئول عن نشر الذعر المفتعل في المجتمعات الغربية والأمريكية عن الإسلام، وخلق حالة ما يسمى "بإسلاموفوبيا" من خلال فرض الهيمنة الثقافية والعسكرية على العالم، وترويج أفكار كل من "فوكوياما" حول "نهاية التاريخ"، و أوهام "هنتنجتون" حول صدام الحضارات و إنشاء مراكز الأبحاث والمنظمات و شركات الإنتاج السينمائي لإظهار العربي والإسلامي بمظهر المتخلف الإرهابي العاهر، واتهام القرآن ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بأنهما يحثان على العنف والإرهاب، و تآلف المسيحيين والصهانية لنشر الأكاذيب ضد الإسلام والمسلمين، وتقديم العرب والمسلمين إما كإرهابيين أعينهم تفيض وتطفح بالشر و إما شيوخ أثرياء منغمسين في الترف واللهو والبذخ.(١)

لما كان كل ذلك واقعا ملموسا ومشاهدا فيجب فتح باب الحوار وتعزيزه وتفعيله لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام من ناحية، وتقديم صورة صحيحة و دقيقة عن تعاليم الإسلام إلى جانب إيضاح المصطلحات الإسلامية التي يعتبرها الغرب حساسة مثل "الجهاد" و"الموالاة" و"الكفر" وما

---

(١) الأهرام ٢٠٠٢/١٢/١٣ نقلا عن مجلة التائم الأمريكية.

شابه ذلك.

إن التطور نحو الأفضل، والبحث الدائم عن الحقيقة من طبيعة الإنسان، وإن سعادة الإنسانية لن تتحقق بالمختبرات والصواريخ العابرة للقارات.

فإزالة الخوف من الإسلام القوي الفاعل أمر ضروري حيث أن المروجين للمخاوف كانوا من ذوي النفوذ وثيقي الصلة باتخاذ القرار مثل هنري كيسنجر (Keasenger) وزير الخارجية الأمريكي الأسبق الذي يقول في خطابه عام ١٩٩٠ أمام المؤتمر السنوي لغرف التجارة الدولية:

"إن الجبهة الجديدة التي على الغرب مواجهتها هي العالم العربي الإسلامي باعتبار هذا العالم هو العدو الجديد للغرب"

كما أن هوليود قام بإنتاج الأفلام المشوهة لسمعة الإسلام و صورة المسلمين.

إن الحوار بين الحضارات وكذلك بين ممثلي الأديان والمذاهب وأتباع الفلسفات الوضعية ضرورة إنسانية ملحة لأننا نعيش في عصر اشتد فيه الصراع بين الشعوب، وانتشر النزاع بين الأمم، وتراجعت فيه القيم الإنسانية: العدل والصدق والمساواة، مع أن هذا العصر قد تكاثرت فيه وسائل الإقتراب والاتصال وأصبح فيه العالم بمثابة قرية صغيرة وزادت فيه قدرات الإنسان على احتواء المسموعات والمرئيات والمنقولات عبر الأثير والمرسلات على جناح الشبكات العنكبوتية وكان من مقتضيات هذه الثورة الصناعية والمعلوماتية أن تسود في العالم مبادئ التعاون والتفاهم وظروف التصالح والتعايش.

إن الإسلام رسالة السماء ودين البشرية جمعاء و إن نبي الإسلام أرسل رحمة للعالمين وان القرآن الكريم يحث على مبدأ الحوار بين أهل الديانات المختلفة ويدعوهم إلى كلمة سواء.

إن إيجاد عالم يسود فيه السلام و يستطيع أن يعيش فيه الإنسان من غير خوف وتمييز عنصري، ومن غير حروب واشتباكات أو تفجير وتدمير، وإيجاد مجتمع إنساني يحرص فيه كل فرد منه على إيصال الخير للغير يحتاج إلى حوار عاجل و مصارحة حقيقية مع الغرب من أجل التعايش السلمي الآمن بين الشعوب المختلفة.

* * *

الحوار مع أتباع الأديان والملل

من الحقائق الثابتة أن العالم قد شهد في العقود الأخيرة تطوراً هائلاً في التقنيات الحديثة و ظهرت ثورة في دنيا المعلومات و أن أدوات الاتصالات الحديثة قد أحدثت انقلابا عظيماً في كافة مجالات الحياة و ساهمت في تقليل المسافات و تقريب المساحات بين البلاد والأمصار، و إن العالم تحول إلى قرية صغيرة يمكن الوصول إليها والتأثير فيها ومتابعة ما يجري من الأحداث في أية زاوية منها من غير بذل الكثير من الجهد والوقت.

لكن المجتمع الإنساني رغم كل هذه الانتصارات في دنيا الإبداعات والاختراعات والتزود بالقنوات الفضائية والشبكات يعاني من انقسام حاد و تمزّق شديد بسبب الاختلافات العرقية والدينية والسياسية، حتى إن مستقبل الحياة الإنسانية على هذا الكوكب الأرضي بات مهدداً و أصبحت لغة الغارات والاشتباكات هي طاغية وسائدة في معظم أنحاء العالم.

و كان من المفترض أن يكون الدين عاملاً للتوحيد والتقريب بين الأمم والشعوب لا سبباً للتفريق والتمزيق أصبح دافعاً إلى قتل النفوس وإراقة الدماء، لأن غياب الرؤية الواضحة لدى أهل الديانات و عدم التنسيق بينهم أعطت للقوى السياسية الطاغية فرصة لاستغلال النزاعات الدينية استغلالاً سياسياً عملاً بمبدأ "فرّق تسد" فاستطاعت في تعميق هوة الخلاف بين أهل الديانات حتى أصبحت الديانات نفسها في قفص الاتهام بأنها من عوامل التفريق لا

من وسائل التوحيد والتأليف، لذا يجب على أهل الديانات سماوية كانت تلك الديانات أو وضعية أرضية. أن يقوموا بإحياء ثقافة الحوار بينهم بهدف بث روح التسامح بين الناس وإيجاد مناخ التعاون بين أهل الملل والديانات المختلفة ضد تيارات الفساد الأخلاقي والإلحاد، و من دون ذلك لا يمكن الحفاظ على مكتسبات الحضارة أو منجزات التطور العلمي والتقني، ولا بناء المجتمع الآمن أو المدينة الفاضلة يعيش فيها الإنسان حياة السعادة النفسية والروحية.

إن الحوار بين الأديان ينبغي أن يقوم على أساس واضح و منهج سليم و ان يهدف إلى غاية نبيلة، و ينبغي أن يرتكز الحوار على الموضوعية والإنصاف و يساهم في إيجاد مناخ آمن للتعايش مع التنوع في الأفكار والانتماءات والتعدد في الفكر والثقافة وفي الانتماء إلى الدين.

إن ثقافة الحوار دعوة إلى الاحتكام إلى العقل والحكمة في مواجهة العصبيات القاتلة والمقيتة.

إن المسلمين لهم تاريخ حافل في فتح باب الحوار و إثراء الحوار بأشكال و أساليب عديدة فقد حاور النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران، و حاور الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عجوزاً مسيحية، و حاور الخليفة العباسي المهدي مع البطريرك بيئاوس، والخليفة هارون الرشيد طبيبه الخاص حول المبادئ الدينية عن طريق الاستماع والإسماع و بهدف الإقناع والإقتناع.

كما حاور القاضي الباقلاني مع ملك الروم، والإمام فخر الدين الرازي

مع القساوسة في خوارزم، بل كان بعض ملوك المسلمين مولعين بعقد مجالس للمناظرة والبحث العلمي مع أطراف عديدة و مع أهل الديانات الأخرى.

إن الوضع الدولي الراهن يؤكد على أهل الديانات حتمية إرساء قواعد الحوار و ضرورة إقامة جسور التعاون و ذلك اتقاء احتدام الصدام بين الفئتين المختلفتين من أبناء وطن واحد أو من بني جنس واحد.

إن الدين الإسلامي الحنيف دين الفطرة و دين العقل والبرهان فهو لا يمنع من الحوار من أجل الوصول إلى الحق، بل القرآن الكريم نفسه يدير الحوار مع من لا يؤمن به ويدعوهم إلى الإحتكام إلى العقل والمنطق فينادي قائلاً:

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ} (آل عمران: ٦٤)

كما يمنع أتباعه من التعرض لأي ديانة و لو كانت باطلة بسوء حيث يقول:

{وَلا تَسُبُّوا الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ} (الأنعام: ١٠٦)

ولا يكره أحدا على اعتناق الإسلام، فلا إكراه في الدين

{قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَآءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَآءَ فَلْيَكْفُرْ} (الكهف: ٢٩)

إن "الحوار" كان ولا يزال أسلوباً حضارياً للإقناع والاقتناع و وسيلة ناجحة للتأثير على الغير و حثه على الخير' وقد ضمن القرآن الكريم أنواعاً من الحوارات بهدف إقامة الحجة وتبيان الحق ومن أجل إزالة اللبس وتنوير عقول المخاطبين و دحض الأباطيل من الآراء والأفكار.

كما أن المصطفى صلى الله عليه وسلم استخدم أسلوب الحوار في التعليم وترسيخ المفاهيم في الأذهان مع أتباعه، ومع غير المسلمين أيضاً، فقد حاور صلى الله عليه وسلم مع وفد نجران كما فاوض مع مندوب مشركي قريش عروه بن مسعود الثقفي من أجل الاتفاق على بنود صلح الحديبية.

إن الحوار الحضاري الهادف بين الأمم والشعوب و بين أتباع الديانات السماوية فيما بينها، وبينها وبين أتباع الفلسفات الوضعية حاجة ملحة اليوم لوضع الحد للصراعات المدمرة والتي يخشى منه أن تأتي على الأخضر واليابس إذا لم يتدارك الأمر و تركت القوى الطاغية تنفذ سياسة التفريق بين الشعوب من أجل فرض الهيمنة عليها تعمل عملها' و تستغل نقاط الضعف فيها.

إن المسلمين لما يملكون من قيم الصدق والأمانة ومبادئ العدل والمساواة إضافة إلى الشجاعة الأدبية والإيمانية لقبول الحكم العادل ولو كان ضد أنفسهم هم أولى الناس بتأصيل الحوار والمبادرة نحو عقد اللقاءات متعددة الأطراف من أجل تحقيق السلام في العالم و إنقاذ الإنسانية مما تعاني منه.

إن الإسلام يدعو إلى العقيدة الصحيحة ويغرسها في النفوس بالحجة والبرهان من غير إكراه وإجبار أو إرهاب أو إغراء.

و إذا آثر غير المسلمين البقاء على دينهم فلا يرغمهم أحد على قبول الإسلام فهم "يُتركون وما يدينون" شريطة أن يتجنبوا أساليب الاعتداء أو إثارة الفتنة في المجتمع.

إن منهج الإسلام قائم على السماحة في التعامل مع الآخرين

والمسالمة مع المسالمين والدفاع عن الوجود والحقوق ضد المعتدين واعتبار الناس جميعاً من أصل واحد ومن حق الجميع أن يعيش ويعمر الأرض.

و إن منهج الحوار الإسلامي يتميز بالواقعية والعقلانية و استخدام أساليب الإقناع من غير التعنيف والتجريح، و استعمال الحكمة في الخطاب، والقصد الحسن، والنية الطيبة. يقول الله عز وجل:

{أدْعُ إلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعَظَةِ الْحَسَنَةِ، وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أحْسَنُ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ وَ هُوَ أعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنِ} (النحل ١٢٥)

و يخلو منهج الحوار الإسلامي عن الكلمات النابية و تبادل الشتائم، يقول القرآن الكريم:

{وَلا تَسُبُّوْا الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ فَيَسُبُّوْا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام ١٠٨)

و باتخاذ الحوار منهجاً يمكن تحقيق التقارب والتفاهم بين الأمم و إرساء دعائم الحرية والتسامح بين الشعوب.

و في مناخ الأمان والسلام فقط يمكن بناء معالم الحضارات و تنفيذ خطط و مشاريع التنمية وتطوير المجتمع الإنساني فالسلام حاجة الجميع.

إن مخاطبة الناس ذوق وفن، وقد حثّ الإسلام على اختيار الموعظة الحسنة واستخدام الكلمة الطيبة لغرس المبادئ النبيلة في النفوس وإصلاح ذات البين لأن الكلمة الطيبة لها تأثير عظيم في تقريب القلوب المتنافرة وترسيخ مفاهيم الإخاء والتراحم والتفاهم.

يقـول الله تعـالى: {أَلَمْ تَـرَ كَيْـفَ ضَـرَبَ اللهُ مَـثَلاً كَلِمَـةً طَيِّبَـةً كَشَـجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَّ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِيْنٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ} (إبراهيم ٢٤)

إن منطـق التجـريح والتعنيـف في المحـاورة والمخاطبـة يولـد الكراهيـة و يوسع الفجوة و قد أشار الله سبحانه إلى ذلك في قوله:

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلَيْظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوْا مِنْ حَوْلِكَ}(آل عمران ١٥٩)

الحوار وأثره في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم

[بحث مقدم إلى:
المؤتمر الدولي بمركز "الملك عبد الله بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية وحوار الحضارات" في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أما بعد:

لكل عصر معطياته وظروفه وهي التي تحدد لغته وأسلوبه في الخطاب، وتفرض منهجه في المناقشة والحوار ويتميز عصرنا الذي نعيش فيه بتطور وسائل التواصل والاتصال وتنوع طرق تبادل الأفكار، وتناقل الفلسفات والأيديولوجيات من ناحية، ووفرة المعلومات مع كثرة المشاكل والصراعات بين أهل المذاهب والديانات من ناحية أخرى تؤدي في كثير من الأحيان إلى نشوب حروب واشتباكات، فرغم أن العالم قد تحول اليوم إلى قرية صغيرة، تقلصت بين أقطاره المسافات، تسود أجواء التنافر والتناحر في معظم ربوع العالم.

إدراكا لهذه الحقيقة وإحساسا بخطورة الأمر جاءت مبادرة خادم الحرمين الشريفين للحوار العالمي بين أتباع المذاهب وأهل الملل والديانات وقد لقيت هذه المبادرة ترحيبا على مستوى العالم، فبعد مؤتمر الحوار العالمي في مكة

المكرمة الذي كان مؤتمرا تأسيسيا وتأصيليا، عقدت مؤتمرات عديدة في مدريد،ونيو يارك وعدد من عواصم العالم.

وكان الهدف من هذه الخطوة المباركة نزع فتيل الصراع، وإيجاد مناخ التعايش والتقارب بين الأمم والشعوب المختلفة ليعيش الناس في هدوء وأمان.

ثم جاءت خطوة مكملة للمبادرة حول إجراء الحوار الداخلي بين أتباع المذاهب المختلفة حتى يعيش المسلمون بروح أمة واحدة واعية، من أجل بناء حضارة دينية وعلمية راشدة.

والحوار المطلوب بين فئات الأمة المختلفة هو الحوار الهادئ وبروح التكاتف والتعاون من أجل حماية جسد الأمة من أن ينهشه الآخرون، وأن ينخروا كيانها باستغلال ظاهرة التفكك بين أجزاء الأمة، وحالة التناحر بين أهل المذاهب الفقهية أو العقدية المختلفة.

إن على المسلمين أن يعيشوا فيما بينهم كبنيان مرصوص وأن يقوموا بواجب تبيان الحق أمام العالم لإبراز جوانب وعناصر الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وأن يدافعوا عنه بإزالة الشبهات التي تثار حول شخصيته أو تعاليم دينه.

إن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ممثلة بمركز الملك عبد الله بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية وحوار الحضارات، خير محضن لمثل هذه المبادرة الكريمة وإن مشاركة كل من وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وجائزة الأمير نايف بن عبد العزيز للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ومركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني تعطي لهذا المؤتمر

زخما خاصا وأهمية بالغة.

وقد حالف القائمين على تنظيم هذا المؤتمر الدولي التوفيق في اختيار العنوان: "الحوار وأثره في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم".

وأرجو أن هذا المؤتمر سوف يكون نقطة انطلاق في عرض الإسلام بأسلوب عصري بارع، وفاتحة عهد جديد للنقاش والحوار في القضايا التي تكون موقع اختلاف بين الشعوب والأمم، أو بين المذاهب الإسلامية نفسها.

كما أرجو أن يساهم هذا المؤتمر في تحديد خارطة الطريق للدفاع المؤثر والقوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع خطوط عريضة لإبراز جوانب مشرقة حضارية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وإثبات براعة وفاعلية أحكام الدين الإسلامي في حل مشاكل الإنسانية، واستتباب الأمن في العالم، والقضاء على الجرائم التي ترتكب جهارا نهارا وتوظيف مكتسبات العلم والتكنولوجيا لصالح الإنسانية بدل التسابق والتفنن في إيجاد أسلحة الدمار الشامل، وأدوات الفتك والإبادة التي تهلك الحرث والنسل حتى يكون العالم واحة عمل نافع مثمر وساحة تنمية وتطور وحياة مستقرة آمنة. **والله ولي التوفيق،،،**

- الدعوة بالحكمة
- الموعظة الحسنة
- المجادلة بالتي هي أحسن

هذه هي الطرق الثلاثة التي أشار إليها القرآن الكريم لإيصال الخير إلى الغير وإرشاد الآخرين إلى النهج الرشيد في الإيمان والعقيدة وفي الفكر والمنهج.

يقول الله عز وجل:

{أُدْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ} (النحل: ١٢٥)

يقول الشيخ العلامة الطاهر بن عاشور:

ومن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي وهي: البرهان، والخطابة، والجدل المعبر عنها في المنطق بالصناعات وهي المقبولة من الصناعات.

قال فخر الدين (يقصد الرازي):

الدعوة إلى المذهب والمقالة لابد من أن تكون مبنية على حجة، والمقصود من ذكر الحجة، إما تقرير ذلك المذهب وذلك الاعتقاد في قلوب السامعين، وإما الزام الخصم وافحامه.

أما القسم الأول فينقسم إلى قسمين لأن تلك الحجة إما أن تكون حجة حقيقية يقينية مبرأة من احتمال النقيض، وإما أن لا تكون كذلك بل

تكون مفيدة ظنا ظاهرا وإقناعا فظهر انحصار الحجج في هذه الأقسام الثلاثة:

أولها: الحجة المفيدة للعقائد اليقينية وذلك هو المسمى بالحكمة.

وثانيها: الأمارات الظنية وهي الموعظة الحسنة.

وثالثها: الدلائل التي القصد منها افحام الخصم وذلك هو الجدل وهو على قسمين لأنه إما أن يكون مركبا من مقدمات مسلمة عند الجمهور وهو الجدل الواقع على الوجه الأحسن، وإما أن يكون مركبا من مقدمات باطلة يحاول قائلها ترويجها على المستمعين بالحيل الباطلة وهذا لا يليق بأهل الفضل([1]).

وما أجمل كلام الإمام القشيري رحمه الله:

"ينبغي أن يكون منك للخصم تبيين، وفي خطابك تليين، وفي قبول الحق إنصاف، واعتقاد النصرة – لما رآه صحيحا بالحجة – وترك الميل إلى الشيء بالهوى"([2]).

والمراد بالتي هي أحسن: أن يكون ألطف وأرفق، وهي مقابلة الخشونة باللين، والغضب بالكظم، والمشاغبة بالنصح، بأن تدعوه إلى الله برفق ولين، وتبين له الحجج والآيات من غير مغالبة ولا قهر، كما يقول ابن عجيبة الحسني([3]).

ولما كانت عقول الناس متفاوتة، ومن نصوص الكتاب والسنة ما هي

---

(١) التحرير والتنوير ٣٣١/١٤، والتفسير الكبير للرازي ١٣٩/١٩.

(٢) لطائف الإشارات ١٠٠/٣.

(٣) البحر المديد ٣١٧/٥.

حمالة أوجه، فالاختلاف سنة ربانية بين الناس، وإن انقسام الناس في شعوب وقبائل للتعارف، واختلاف الناس في الألسنة والألوان آية من آيات الرحمن في الخلق، يخلق ما يشاء.

أما اختلاف الناس في الديانات والملل والطوائف والفرق والنحل فأمر اختياري يترتب عليه الأحكام التكليفية، فمنها ما هو هدى خالص كما أن فيها ما هو ضلال مبين، وكانت بعثة الأنبياء عليهم السلام من أجل إراءة الناس الطريق السوي ومن أجل إخراجهم من الضلالة وطرق الانحراف والغواية إلى النور والهداية ولكن بقاء كثير من الناس على الاختلاف في المعتقد والمنهج مع وضوح الحق لا مناص منه.

يقول الله عز وجل:

{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَّاحِدَةً وَّلا يَزَالُوْنَ مُخْتَلِفِيْنَ، إلا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ} (هود: ١٨٨)

ومن المعلوم أن "البيان" من خصائص الإنسان، والإفصاح عما يدور في خلده وما يحمله في رأسه من أفكار وآراء يتم عن طريق البيان، وإن الكتابة أو الإشارة قد تأخذ مقام اللسان في إيضاح مكنون الجنان في حالة العجز أو الاحتياج وإلا فالأصل هو كما قيل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقد ذكر الله سبحانه في سياق امتنانه:

{خَلَقَ الإنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} (الرحمن: ٣،٤)

إن الإنسان يألف بالمكان الذي يعيش فيه، ويعتنق عموما الأفكار والأديان التي وجد عليها آباءه وأفراد عشيرته، ومنها ما هو صحيح واضح البرهان وكما أن منها ما هو فاسد وواضح البطلان، لذا يحتاج إلى الحوار أو المجادلة بإحسان، فالمحاورة أو المحاجة أو المجادلة بإحسان ظلت عبر التاريخ وسيلة ناجعة للوصول إلى الحق الصريح، والدين الحق، والفكر الخالص غير المشوب لأن العقول السليمة تقتنع بالأدلة الصحيحة والقلوب الطاهرة تقبل الدين الحنيف.

إن القرآن الكريم قد منع من الجدل بغير علم يقول الله عز وجل:

{هَآأَنْتُمْ هؤُلآءِ حَاجَجْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِه عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّوْنَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِه عِلْمٌ} (آل عمران: ٦٦)

ولكنه أمر الذين يحملون العلم ولديهم قدرة على الإقناع لمن لا يستجيب للموعظة الحسنة في الدعوة إلى سبيل الله قائلا:

{وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ} (النحل: ١٢٥)

فمن هنا كان علم المناظرة من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من الباطل، ووسيلة للتفريق بين الصحيح والسقيم، والمعوج من المستقيم، وما كان يعرف بالأمس "بالمناظرة" أخذ اليوم عنوان "الحوار" مع فارق كبير في اختيار الموضوع وأسلوب المحاورة وطريقة الإقناع.

وإن الحوار الهادف هو خير وسيلة لإقناع الآخرين بفكر أو عقيدة معينة بعيدا عن أساليب الإكراه واستخدام العنف.

كما إن الحوار هو السبيل الأمثل لتخفيف حدة التوتر بين فئتين متحاربتين ونزع فتيل الحروب والاشتباكات، وإصلاح أوضاع البلاد والعباد، فالحوار قيمة حضارية يساعد في خلق جوّ آمن وبيئة صالحة للاستفادة والإفادة.

وقد قدم القرآن الكريم نماذج عديدة للحوار مع أهل الفكر الرافض والرأي المناقض، كما قدم أنواعا من الحوار مع آدم، مع الملائكة، مع الأنبياء عليهم السلام، مع إبليس وبين هُدْهُدْ وسليمان ولكل حوار أسلوب خاص وسياق معين وقد ورد في القرآن الكريم نصا:

{فَقَالَ لِصَاحِبِه وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} (الكهف: ٣٤)

{قَالَ لَه صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ} (الكهف: ٣٧)

{وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا} (المجادلة: ١)

فالحوار أصل ثابت وقيمة من القيم الحضارية والمطلوب شرعا هو أن يكون الحوار بأقوم الأساليب وأحسن الطرق عملا بقوله تعالى: {وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِيْ هِيَ أحْسَنُ} (النحل: ١٢٥).

وأن يسود الحوار جو العدل والإنصاف، وأن يكون بين المتحاورين الاحترام المتبادل والاستعداد لقبول الحق والرفق واللين في استخدام الكلمات وإيراد الحجج والأدلة.

تطبيقا لما دعا إليه الله سبحانه موسى وهارون عليهما السلام: {إذْهَبَا إلَى فِرْعَوْنَ إنَّه طَغَى، فَقُوْلا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أوْ يَخْشَى}

وقوله تعالى:

{وَلا تَسُبُّوا الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام: ١٠٨)

وقوله تعالى:

{وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أنْ لا تَعْدِلُوْا، إعْدِلُوْا هُوَ أقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (المائدة: ٨)

فالحوار نافع والمناظرة مطلوبة يقول العلامة ابن خلدون:

"إن التعليم الصحيح يكون في النطق والمفاوضة وفتق اللسان بالمحاورة والمناظرة".

ويقول الزرنوجي:

"إن قضاء ساعة واحدة في المناظرة والمناقشة أجدى للمعلم من مكث شهر في الحفظ والتكرار".

إن المناظرات العلمية كانت ولا زالت وسيلة لإظهار الحق على الباطل لأن المناظرة هي تبادل الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه مع رغبة كل منهما في ظهور الحق.

فالمناظرة منهج للتدريس، وأسلوب للتثقيف، ووسيلة للإقناع والاقتناع، ولأن يكون الحوار نافعا وناجحا في إحقاق الحق وإبطال الباطل، ينبغي أن يكون المحاور في حالة نفسية سليمة، وفي وعي تام، وإدراك كامل حتى يكون كلامه مؤثرا.

يقول العلامة أبو الوليد الباجي رحمه الله:

ولا يناظر في حالة الجوع والعطش، ولا في حالة الخوف والغضب، ولا

في حالة يتغير فيها عن طبعه، ولا يتكلم في مجلس تأخذه فيه هيبة ولا بحضرة من يزري بكلامه، لأن ذلك كله يشغل الخاطر ويقطع المادة ولا يناظر من لا ينصف من نفسه، ولا من عادته التسفه في الكلام ولا من عادته التقطيع، فإنه لا يستفيد بكلامه فائدة، فإن ظهر له من خصمه شيء من ذلك نهاه عنه بلطف ورفق، فإن اللطف في الأمور أنفع، والرفق أنجع، فإن لم ينته عن ذلك، أعرض عن كلامه ولم يقابله في أفعال، وإذا بان له الحق أذعن له وانقاد إليه فإن الغرض بالنظر إصابة الحق([1]).

ومن أمثلة الحوار المقنع ما أجراه الرسول صلى الله عليه وسلم مع رجل أتاه ينكر لون ولده ويشك في سلوك زوجته فقال:

يا رسول الله إن امرأتي ولدت غلاما أسود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها؟ قال: حمر، قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم، قال: فمن أين ذلك؟ قال: لعل عرقا نزعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وهذا الغلام لعل عرقا نزعه([2]).

وروي ابن عباس رضي الله عنهما: إن ضِمادا قدم مكة من أزد شنوءة وكان يرقي من الريح – الجنون – فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون، إن محمدا مجنون.

فقال ضماد: لو أني رقيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي،

---

(١) المنهاج في ترتيب الحجاج للباجي ص: ١٩.

(٢) أخرجه البخاري برقم ٤٩٩٩ ومسلم برقم ١٥٠٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فلقيه فقال: يا محمد إني أرقى من هذه الريح، وأن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد:

فقال ضماد: أعد على كلماتك هذه، فأعادها عليه ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة، وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء هات يدك أبايعك على الإسلام([1]).

إن العلماء قديما وحديثا استخدموا الحوار كوسيلة لمناصرة الحق وإبطال الباطل فهناك مناظرات مشهورة حفظها التاريخ من بينها المناظرة اللطيفة والذكية التي قام بها الإمام عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكناني المكي المتوفى ٢٤٠هـ وهي المعروفة "بالحيدة"، أو المناظرة الكبرى في محنة خلق القرآن.

قدم العلامة عبد العزيز الكناني بغداد في خلافة المأمون الذي كان قد تبني فكرة المعتزلة في القول بخلق القرآن، وقد ابتلي المسلمون من هذا القول بفتنة عارمة اضطر كثير من الناس إلى ترك الجمعة والجماعات، وقد سجن وعذّب بسببه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

وقد خاطر الكناني بقول الحق أمام الملأ والإيضاح عن العقيدة الصحيحة حتى نقل إلى بلاط الخليفة وقد هدد من رجال الدولة لكنه صمد

---

(١) صحيح مسلم برقم ٨٦٨.

ولم يتزعزع وناظر أمام الخليفة رأس المعتزلة بشر المريسي وهزمه هزيمة منكرة.

وكان رحمه الله بارعا في الاستدلال، شجاعا، ثابت الجنان، وقد حاصر خصمه بقوة حجته والتزامه أن لا يخرج عن الموضوع وأن يلتزم في الاحتجاج بالكتاب من غير تأويل وبالسنة الصحيحة الثابتة وذلك انطلاقا من الأصل القرآني المتفق عليه.

{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُوْلِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ،ذلِكَ خَيْرٌ وَّأَحْسَنُ تَأْوِيْلاً} (النساء: ٥٩)

إن كتاب الإمام ابن تيمية رحمه الله "الجواب الصحيح في الرد على من بدّل دين المسيح".

وكذلك كتاب الإمام ابن القيم: "هداية الحيارى في الرد على النصارى" مع اختلاف الزمان والمكان وتنوع الأدلة والبرهان خير مثال للمناظرات الدينية أو الردود على المعتقدات الخاطئة.

يقول الشيخ الفقيه العلامة محمد أبو زهرة عن كتاب الإمام ابن تيمية رحمه الله "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح".

إن هذا الكتاب أهدأ ما كتبه ابن تيمية في الجدال وهو وحده جدير بأن يكتب ابن تيمية في سجل العلماء العاملين والأئمة المجاهدين والمفكرين الخالدين([1]).

ولا شك أن الجواب الصحيح يتميز بين كافة الكتب التي ألفت في دحض أباطيل النصرانية، فهو يلقى الضوء أولا على أن المسيحية الموجودة

---

(١) ابن تيمية /٥١٩.

حاليا هي مزيج من تعاليم المسيح والوثنية الرومانية، وإن فكرة الأقانيم الثلاثة ليست من تعاليم الأنبياء عليهم السلام بل هي مأخوذة من أوهام الفلاسفة، ثم يناقش علميا أن كتب العهد الجديد والقديم مقطوعة الإسناد، وإن الذين دونوها لم يلتقوا بعيسى أو موسى عليهما السلام، كما بيّن أن هناك لبسا في مفهوم الأب والابن وروح القدس، وأن الكثير من علماء النصارى كانوا يدعون إلى التوحيد، وأن فكرة التثليث أمر طارئ في المسيحية، كما أن الإمام ابن تيمية ابدع في عرض نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء المعجزات الحسية والمعنوية والشواهد والمبشرات في كتابه القيم.

إلى جانب لفظ "الحوار" هناك كلمات:

المناقشة

المفاوضة

المحاورة

المناظرة

المجادلة

المباحثة وغيرها وهي كلمات ذات معان متقاربة لكن لكل منها إيحاءات خاصة يتبادر إليها الذهن بسبب استخداماتها وملابساتها وسياقاتها "فالمفاوضة" عادة تستخدم في المجال السياسي والدبلوماسي، و"المجادلة" توحي إلى نوع من الخصومة واللدد، وإن كانت تستخدم أيضا في المجادلة الحسنة كما دعا إليها القرآن الكريم، كذلك "المناظرة" لها خلفية تاريخية لا تفهم إلا في جو الشد والجذب وإفحام الخصم، وإلقام الحجر ولكن في أصل معناها يمكن أن تستخدم في نفس معنى الحوار أو المحاورة، كذلك "المناقشة" أو "المباحثة" لها مفهوم خاص في بيئة الجامعات وبين المناقشين لرسائل الدكتوراه أو الماجستير لكن لهما مدلولات واستخدامات أخرى أيضا ومعروفة بين أهل العلم.

وقد حاول البعض أن يفرق بين الحوار والمجادلة قائلا: إذا كان الهدف الوصول إلى الحق والدفاع عنه فهو حوار، وإذا كان القصد إلزام الخصم وإسكات المعارض فهو جدل.

وقيل: إذا كان الأسلوب حسنا وواضحا وصريحا فهو حوار، وإذا كان في الأسلوب شدة وغلظة فهو جدل، ولكن كل هذه القيود لا داعي إليها، ولا مشاحة في الاصطلاح كما قيل، وإن تقسيم المصطلحات إلى المنقولات الشرعية والعلمية والعرفية تتم بضوابط، وتفسر الكلمات داخل محيطها وفي دائرة ملابساتها، فلا أرى بأسا في استخدام بعض هذه الكلمات في مكان غيرها وفي معاني مشتركة تتبين من خلال سياقها.

وقد وضع العلماء المتقدمون ضوابط للبحث والمناظرة وحددوا شروط الرد والقبول والإقناع والاقتناع.

يقول العلامة ابن خلدون:

الجدل هو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا، ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودهما في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا؟ وكيف يكون خصوصا منقطعا، أو محل اعتراضه، أو معارضته؟ وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلام والاستدلال؟ ولذلك قيل فيه:

"إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي وهدمه"(١).

---

(١) مقدمة ابن خلدون /٣٦٢.

ومما قيل في هذا المجال:

الجدل: هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان([1]).

المناظرة: علم يعرف به آداب وطرق إثبات المطلوب أو نفيه، وقيل: إنها توجه المتخاصمين بين الشيئين إظهارا للصواب.

أما **المجادلة:** فهي المنازعة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم([2]).

المحاورة: في الكلام تكون بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر مع رغبة كل منهما في ظهور الحق، فكأنها بالمعنى الاصطلاحي مشاركتهما في النظر الذي هو الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة الظن ليظهر الصواب([3]).

المكابرة: في الاصطلاح، المنازعة بين الخصمين لا لإظهار الصواب بل لإظهار الفضل والغلبة ومن أمثلتها أن يقول المعلل صاحب التصديق: الكل أكبر من الجزء، والواحد نصف الإثنين، والأربعة زوج فيقول السائل امنع هذه الدعاوي أو واحدة منها، فإن قال ذلك فهو مكابر، والمكابرة مردودة لا تسمع ولا تقبل ([4]).

وقد استخدم القرآن الكريم كلمة "المحاجة" في أكثر من موضع مثل:

---

(٢) التعريفات /١٣٧.

(٣) الرشيدية /١٨.

(٤) آداب البحث والمناظرة للشنقيطي /٣.

(١) آداب البحث والمناظرة /٦٣.

حاججتم

تحآجّون

يتحاجّون

يحآجون

وفي الحديث النبوي الشريف: احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة.

فقال آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه أتلومني على أمر قدره الله قبل أن يخلقني.

فحج آدم موسى([1]).

وورد: تحاجت الجنة والنار([2]).

كما ورد: والقرآن حجة لك أو عليك([3]).

المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم([4]).

وقيل: إنه فن المناقشة الذي بعين على تنسيق الأفكار للبحث فيها من بعد حسب مبادئ المنطق أو في الحوار الذي يرتفع به العقل من المحسوس إلى المعقول.

وقيل: إنه منهج منطقي بدأ به سقراط في السؤال والجواب والحل.

---

(٢) رواه البخاري برقم ٣٤٠٩.

(٣) صحيح البخاري ٤٨٥٠.

(٤) صحيح مسلم ٢٠٣/١.

(٥) مناهج الجدل في القرآن الكريم /٤٢ زاهر عواض الألمعي.

أما كلمة "المراء" فقد حث الشرع على تركه حيث ورد في حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه ([1]).

كان الهدف من إحداث "علم المناظرة" مناصرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحماية شريعته وإقامة الحجة والبرهان على كل من خالفه أو أبدى تشكيكا في كتاب الله أو سنة رسوله، ثم توسعت الدائرة إلى كل من يلحد في الدين ولو تسمى باسم المسلمين.

ومن طالع كتاب "درء تعارض العقل" وكذلك كتاب "منهاج السنة" وكلاهما للإمام ابن تيمية رحمه الله يدرك براعته في الاستدلال والاحتجاج والرد والإفحام لمن يناوئه من الخصوم من أهل الانحراف والإلحاد.

وفي العصور المتأخرة يمكن أن يعتبر الشيخ العلامة رحمة الله الكيرانوي المتوفى في سنة ١٣٠٨هـ مؤسس المدرسة الصولتية في مكة المكرمة من أبرز من قام بمناصرة الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال المناظرة والحوار العلني مع القساوسة الذين شنوا هجوما شرسا على الإسلام ونبي الإسلام صلى الله عليه وسلم فخاض الشيخ في المناظرة الكبرى مع القسيس فندر، وهي مشهورة هزم فيها القسيس واضطر إلى الهروب، وتم تكريم الشيخ من قبل السلطان عبد العزيز خان في تركيا على هذا الموقف البطولي وهو مؤلف كتاب "إظهار الحق" الشهير الذي لم ينسج على منواله كما أنه هو كان رائدا وقدوة

---

(١) رواه أبو داود برقم ٦١٢٤.

للداعيـة المعـروف أحمـد حسـن ديـدات ومواقفـه معروفـة في الحـاق الهزيمـة بالقسيس الأمريكي سوا جارت وغيره.

هؤلاء كلهم جعلوا المناظرات والمحاورات أسلوبا لخدمة الدين الإسلامي الحنيـف، والـذود عـن حمـاه، والـدفاع عـن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم ومناصرته أمام الجماهير.

ومـن جانـب آخـر هنـاك كتـب ألّفـت في الـرد علـى الفلاسـفة والفـرق الباطنية الزائفة وهي أيضا تدخل ضمن الكتب المدافعة عن الإسلام والمناصرة للنبي صلى الله عليه وسلم.

إن كتاب "تهافت الفلاسفة" للإمام أبي حامد الغزالي المتوفى ٥٠٥هـ قد أدى دورا مهمـا في تفنيـد مـزاعم الفلاسـفة وكسـر شـوكتهم قرابـة مائـة سـنة إلى أن قام ابن رشد في الدفاع عن الفلاسفة والهجوم على الغزالي من خلال كتابه "تهافت تهافت الفلاسفة" ثم جاء قاضي زاده للمحاكمة بين الاثنين.

وإذا نظرنا إلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وطريقته في التعامل مع الناس الذين حاربوه ولم يتركوا سبيلا في التضييق عليه وتكذيب ما جاء به من الحق.

فقد لقي النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم من مشركي مكة وصناديد قريش حينما دعاهم إلى كلمة التوحيد وترك عبادة الأصنام صنوفا من الأذى رغم كل ذلك لم يترك أسلوب الحوار والتعامل معهم بخلق دمث وقول لين، وكان لهذا الأسلوب تأثير عجيب في الإقناع والإهداء وفي قطع المراء والجدال، ولعل من أبرز هذا النوع من الحوار ما جرى بين رسول الله صلى الله عليه

وسلم وعتبة بن ربيعة وهو كما نقلته المصادر كان كالتالي:

أرسلت قريش عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحادثه ويفاوضه ويغريه فجلس عتبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال:

يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من الشطر في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضا.

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: قل – يا أبا الوليد – أسمع قال: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به مالا، جمعنا لك أموالنا، وإن كنت إنما تريد به شرفا سوّدناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملّكناك، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوي منه.

حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع إليه قال: أو قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منّي، قال: أفعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{حم، تَنْزِيْلٌ مِّنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه قُرْآناً عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ، بَشِيْراً وَّنَذِيْراً فَأعْرَضَ أكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُوْنَ} (فصلت: ١– ٤)

قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن انتهى إلى آية السجدة

فسجد وكان عتبة معتمدا على يديه واضعا خلف ظهره يسمع منه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قد سمعت يا أبا الوليد، فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه بوجه غير الوجه الذي جاء به بشدة وقع الآيات عليه وطلب من أصحابه أن يدعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وشأنه فأبوا وقالوا له: سحرك يا أبا الوليد بلسانه ([1]).

وهذه القصة تبين لنا من أساليب الحوار:

- إن النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الاستماع لعتبة وقال له: قل أبا الوليد، أسمع.

  فخاطبه بالكنية تكريما له ولم يدعه باسمه لأن العرب يحبون في الكنية تشريفا وتكريما.

- أعطاه الفرصة ليقول المزيد إذا كان عنده شيء نسيه أو تركه مجاملة له فسأله: أو قد فرغت يا أبا الوليد؟

  وهذا الأدب الجمّ والأسلوب الراقي للحوار يجعل الطرف الآخر يسمع بقلب مفتوح، الكلام الذي سوف يلقي إليه.

- ثم بعد الفراغ من التلاوة سأله: قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك؟ ما ترك فيه أثرا بالغا تلمسه أصحابه من وجهه.

وهذا هو الأسلوب الناجح للحوار، المطلوب في هذا العصر مع أهل الديانات والملل الأخرى بأن يعطي للمحاور حرية كاملة، ويسمع ما يلقيه

---

(١) سيرة ابن هشام ٣١٣/١، البداية والنهاية ٦٢/٣.

بعناية تامة وإصغاء كامل، وأن يتحمل المحاور ما يسمعه ولو كان الكلام باطلا ومثيرا، ثم يلقي ما عنده بهدوء وبأسلوب شيق مؤثر وحجج وأدلة قوية ملموسة ودامغة.

- ومن نماذج الحوار الراقي الجميل والمؤثر أيضا حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأنصار في أعقاب معركة حنين حيث إن بعضا من الأنصار شعروا بحرمانهم من الحقوق في تقسيم الغنائم، فدخل زعيم الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، فقسمت في قومك وأعطيت عطايا عظيمة في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأين أنت من قومك يا سعد؟

قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي.

قال: فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة.

فجمع سعد الأنصار، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: "يا معشر الأنصار، مقالة بلغتني عنكم، وجِدَة وجدتموها عليّ في أنفسكم، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟

قالوا: بلى، الله ورسوله أمنّ وأفضل.

ثم قال: أما تجيبوني يا معشر الأنصار؟

قالوا: بما نجيبك يا رسول الله؟ "لله ولرسوله المنّ والفضل"

قال: أما والله لو شئتم لقلتم – ولصدَقتم ولصدّقتم – أتيتنا مكذّبا فصدّقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويناك، وعائلا فواسيناك.

أوجدتم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا، تألفت بها قلوب قوم يسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون – يا معشر الأنصار – أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟

فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعبا، والأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار.

فبكى القوم حتى أخضل لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسما وحظا([1]).

هذا الحوار من أبلغ وأعظم الحوارات، وقد بلغ حد الإعجاز في حسن تصرف النبي صلى الله عليه وسلم، ولطف تعامله، وكمال حكمته مع فئة مصدومة نفسيا،غاضبة على حرمانها حتى تحولت إلى فئة راضية مسرورة مفتخرة على ما نال من حظ عظيم أثناء خطاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وهكذا ينبغي أن يكون الحوار فاعلا ومؤثرا وقادرا على ترطيب القلوب وتطييب النفوس.

أما الحوار الذي أجراه السلف الأقدمون مع الغير أو مع الطرف الآخر

---

(١) أخرجه البخاري برقم ٤٣٣٠.

فمن أحسن نماذجه ما جرى بين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وملك الحبشة أصحمة النجاشي.

فأثناء انتقال طليعة من المهاجرين إلى أرض الحبشة هروبا من ظلم المشركين في مكة.

أرسل النجاشي إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءوا، ودعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم قائلا:

ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل؟

فأجابهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قائلا:

أيها الملك، كنا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله رسولا منا، نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لتوحيده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباءنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا.

فأمرنا بالصلاة والزكاة، والصيام، وعود علينا أمور الإسلام فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله فعبدنا الله، فعدا علينا قومنا فعذّبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل كما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا، وضيقوا علينا،

وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقرأ عليه صدرا من {كهيعص} فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ماتلا عليهم ثم قال:

"إن هذا والذي جاء به عيسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة"(١).

فقد نجح حوار جعفر مع النجاشي في إقناعه، وجلب تعاطفه وكسب وده وحمايته للمسلمين.

وكذلك من ألطف وأذكى الحوار ما جرى بين ابن عباس رضي الله عنهما ومجموعة من الخوارج الذين نقموا من علي رضي الله عنه وتمردوا وخرجوا عليه متهمين إياه بالكفر والضلال.

وهذه المحاورة تدل على ذكاء ابن عباس رضي الله عنهما الخارق، وفقهه العميق وقدرته البالغة في الإفحام والإقناع.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما اعتزلت "الحرورية" قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة فلعلي آتى هؤلاء القوم فأكلمهم.

قال: إني أتخوفهم عليك، قال: كلا إن شاء الله، فلبست أحسن ما قدرت عليه من هذه اليمانية ثم دخلت، فقالوا: مرحبا بك يا بن عباس، ما جاء بك؟

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٣٦.

قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله.

قال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم: لنحدّثنه.

قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه؟

قالوا: ثلاثا، قلت: ما هن؟ قالوا: أوّلهن أنه حكّم الرجال، في دين الله وقد قال الله تعالى: (إن الحكم إلا الله) قال: قلت: وماذا؟ قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفارا حلت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين فقد حرمت عليه دماءهم.

قلت: وماذا؟

قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قرأت عليكم كتاب الله المحكم، وحدثتكم عن سنة نبيكم ما لا تنكرون أترجعون؟

قالوا: نعم.

قال: أما قولكم أنه حكم الرجال في دين الله فإن الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ، وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُّتَعَمِّداً فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ} (المائدة: ٩٥)

وقال في المرأة وزوجها: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوْا حَكَماً مِّنْ

أَهْلِه وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا} (النساء: ٣٥)

أنشدكم بالله، أفحكم الرجال في حقن دماءهم وأنفسهم، وصلاح ذات بينهم أحق، أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟

قالوا: في حقن دمائهم، وصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟

قالوا: اللّهم نعم.

قال: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، أتسبون أمكم، ثم تستحلون منه ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أمكم فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول:

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤمِنِيْنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} (الأحزاب:٦)

وأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؟

قالوا: اللّهم نعم.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا يوم الحديبية على أن تكتب بينهم كتابا فقال: أكتب: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله، لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك ولكن أكتب: محمد بن عبد الله.

فقال: والله، إني لرسول الله وإن كذبتموني، واكتب يا علي، محمد بن عبد الله، ورسول الله كان أفضل من علي، أخرجت من هذه؟

قالوا: اللّهم نعم، فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقتلوا على

ضلالتهم، قتلهم المهاجرون والأنصار([1]).

حوار الإمام أبي حنيفة مع الملحدين:

نقل الإمام ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل: أن جمعا من الملحدين اجتمعوا بالإمام أبي حنيفة رحمه الله طالبا منه إقامة الحجة على وجود خالق لهذا الكون قائلين ما الدليل على وجود الصانع؟

فقال أبو حنيفة: دعوني من هذا الموضوع فإن خاطري مشغول بأمر غريب.

قالوا: ما هو؟

قال: بلغني إن في دجلة سفينة مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة، وهي تذهب وترجع من غير أن يحركها أحد أو يكون عليها أحد؟

فقالوا: أمجنون أنت؟

قال: وما ذاك؟

قالوا: إن هذا لا يصدّقه عاقل.

قال لهم: فكيف صدقت عقولكم أن هذا العالم بما فيه من الأنواع والأصناف والحوادث العجيبة، وهذا الفلك الدوّار السيّار يجري، وتحدث الحوادث من غير محدِث، وتتحرك هذه المتحركات بغير متحرك؟!

فبهتوا، ورجعوا على أنفسهم بالملام([2]).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٠/١٥٧ – ١٦٠.

(١) درء تعارض العقل ٣/١٢٧، الرياض الناضرة ص: ٢٥٨.

ومن أساليب الحوار المقنع ما نقله الآجرّي والذهبي والخطيب البغدادي وغيرهم عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله في فتنة خلق القرآن، أن الخليفة الواثق بالله لما طلبه وهو محبوس مقيد إلى مجلسه وقال لابن أبي دواد المعتزلي رأس الفتنة في إثارة مسألة خلق القرآن، والسبب في ابتلاء الإمام أحمد بن حنبل قال: سله

فقال الإمام أحمد: يا أمير المؤمنين أنا محبوس مقيد، أصلّي في الحبس بتيمم منعت الماء، فمر بقيودي تحلّ ومر لي بماء أتطهر به وأصلي ثم سلني.

فأمر الخليفة فحل قيده وأمر له بماء فتوضأ وصلّى، ثم قال لابن أبي دواد: سله.

فقال الإمام أحمد: المسألة لي تأمره أن يجيبني، فقال: سل، فأقبل الإمام على ابن أبي دواد يسأله، فقال: أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه، أشيء دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

قال: لا.

قال: فشيء دعا إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعده؟!

قال: لا.

قال: فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدهما؟!

قال: لا.

قال: فشيء دعا إليه عثمان بن عفان رضي الله عنه بعدهم؟!

قال: لا.

قال: فشيء دعا إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعدهم؟!

قال: لا.

قال الإمام أحمد: فشيء لم يدع إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أبو بكر، ولا عمر، ولا عثمان، ولا علي رضي الله عنهم تدعو أنت الناس إليه؟! ليس يخلوا أن تقول: عِلموه أو جهلوه، فإن قلت جهلوه وعلمته أنا، فيا لكع بن لكع يجهل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم شيئا تعلمه أنت وأصحابك؟!

فوثب الخليفة قائما وجعل ثوبه في فيه يضحك، ثم جعل يقول: صدق، ليس يخلو من أن نقول: جهلوه أو علموه، فإن قلنا: علموه وسكتوا عنه، وسعنا من السكوت ما وسع القوم، وإن قلنا: جهلوه وعلمته أنت وأصحابك، فيا لكع بن لكع، يجهل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم شيئا تعلمه أنت وأصحابك؟!(١).

وهكذا استطاع الإمام أحمد بن حنبل من إقامة الحجة وفضح أعدائه بحوار هادف وذكى يفتح العقول والقلوب.

ومن الحوار الطريف أيضا ما جرى بين الإمام أبي الحسن الأشعري وشيخ المعتزلة أبي علي الجبائي الذي كان يعتقد وجوب اختيار الأصلح على الله سبحانه فسأله أبو الحسن الأشعري عن مصير ثلاثة: مسلم مات كبيرا، وكافر مات كذلك وصبي كافر مات صبيا.

فقال الجبائي: أما المسلم ففي الجنة حسب عمله، وأما الكافر الكبير

---

(١) أضواء البيان ٤/٤١١. ويقول العلامة الشنقيطي رحمه الله: فهذه القصة لم تزل مشهورة عند العلماء صحيحة الاحتجاج، فيها إلقام الخصم الحجر.

ففي النار في أعلى دركاتها بحسب طغيانه، وأما الصبي الكافر ففي النار في أدنى دركاتها.

فقال الشيخ أبو الحسن الأشعري: فما بال الصغير في النار؟

قال الجبائي: يقول الله له: علمت في سابق علمي أنك إن كبرت كفرت، فرأيت أن الأصلح لك أن أقتلك في الصغر، لتكون في أدنى دركات النار.

قال أبو الحسن الأشعري: لم لا يقول الكافر الكبير وكذا كل كبير في النار يا رب لقد علمت في سابق علمك أني إن كبرت كفرت، وأنا أرضي بأقل من مصير هذا الغلام فلم لم تمتني صبيا؟

قال الجبائي: أبك جنون؟

قال أبو الحسن: لا ولكن وقف حمار الشيخ بالعقبة([1]).

ومن الحوار اللطيف والطريف ما جرى بين العلامة الأصولي الفقيه أبي إسحاق الاسفرائيني وشيخ المعتزلة عبد الجبار.

قال عبد الجبار: سبحان من تنزه عن الفحشاء، أراد أن أفعال العباد من خلقهم لأن الله أعلى وأجل من أن يشاء القبائح كالزنا والسرقة وغيرها من الأعمال.

فقال أبو إسحاق: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء.

قال عبد الجبار: أتراه يخلقه ويعاقبني عليه؟

فقال أبو إسحاق: أتراك تفعله جبرا عليه كأنك أنت الرب وهو العبد؟

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/٢٦٧- ٢٦٨.

فقال عبد الجبار: أرأيت إن دعاني إلى الهدى وقضى على بالردى أتراه أحسن إلى أم أساء؟

قال أبو إسحاق: إن كان الذي منعك منه ملكا لك فقد أساء، وإن كان له فإن أعطاك ففضل، وإن منعك فعدل، فبهت عبد الجبار وقال الحاضرون: والله ما لهذا جواب([1]).

ومن العلماء الذين عرفوا بقوة العارضة وحسن الاستدلال والمقدرة الخارقة على توضيح الحق، وتبيان الأمر، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتوفى ٤٠٣هـ كان يلقب بسيف السنة ولسان الأمة وكان يضرب به المثل في شدة ذكائه ودقة فهمه وسرعة بديهته.

ولما أرسله الخليفة العباسي رسولا إلى ملك الروم أراد الملك أن يدخله من باب صغير منحنيا راكعا ففطن ذلك فدخل بظهره وأنقذ نفسه من موقف محرج.

ولما رأى أساقفتهم ورهبانهم قال: كيف الأهل والأولاد؟

فاستاؤا ذلك وقال الملك: مه، أما علمت أن الرهبان يتنزهون عن ذلك؟

قال: تنزّهون هذا، ولا تنزّهون رب العالمين عن الصاحبة والولد؟!

وقال أحد الأساقفة في حضور الملك مستفزا له:

ما فعلت زوجة نبيكم؟ مشيرا إلى حادث الإفك.

فرد الإمام الباقلاني على البديهة:

---

(١) راجع تفسير أضواء البيان ٤/٤١٢.

هما امرأتان ذكرتا بسوء: مريم وعائشة فبرأهما الله عز وجل.

وكانت هذه (عائشة) ذات زوج ولم تأت بولد، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج، وكلتاهما بريئتان مما قيل فيهما.

فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال ريبة إلى هذه فهو إلى تلك أسرع وهما بحمد الله منزهتان مبرأتان من السماء بوحي من الله عز وجل([1]).

إن المناظرات والمحاورات التي أجراها العلماء وأعلام هذه الأمة كان لها أثر بالغ في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم والذود عن تعاليم دينه الحنيف وأذكر هنا دور ثلاث شخصيات من شبه القارة الهندية الذين عاشوا في نهاية القرن الماضي أو بداية هذا القرن.

أولهم الشيخ رحمة الله الكيرانوي الذي سبقت الإشارة إليه وإلى كتابه الشهير في الرد على النصارى "إظهار الحق".

شهد هذا الشيخ عصر انهيار الإمبراطورية المغولية المسلمة وسيطرة الاستعمار البريطاني على الهند فلما دخلت الهند تحت حكم التاج البريطاني في عام ١٨٥٧م أعلن أحد أعضاء البرلمان البريطاني آنذاك:

"الحمد لله الذي أرانا هذا اليوم الذي أصبحت فيه الهند تحت سيطرة انجلترا وأمكن أن يرفرف علم المسيح عليها كلها، وعلينا أن نجمع قوانا ونبذل جهدنا في تنصير شعب الهند، ولا نترك الكسل يستولي علينا"([2]).

وواكب هذا الانتصار وصول فوج من المنصّرين والمبشرين المسيحيين،

---

(١) البداية والنهاية ٣٤٢/١١، ترتيب المدارك ٥٩٤/٤.

(١) تاريخ الإسلام في الهند للنمر /٤٠١.

وعمت مدارس التنصير كافة مناطق الهند، وأنشئت كليات ومعاهد متخصصة كما بلغ عدد المبشرات المسيحيات لزيارة النساء في البيوت تحت شعار إيصال المعونة أو القيام بعلاج المرضى إلى عشرات الآلاف.

وقام المنصر الشهير هنري مارتن بترجمة الكتاب المقدس إلى الأردية والفارسية واللغات الأخرى المحلية وتم توزيع نحو ١٦٠ مليون نسخة من الإنجيل لغاية عام ١٨٩٩م.

كذلك قام القساوسة بتأليف الكتب لإثبات تفوق الدين المسيحي على الإسلام، وإثارة الشبهات حول القرآن الكريم، وتشويه سمعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والطعن في أزواجه تحت عناوين:

- تفتيش الدين المحمدي
- إبطال الدين المحمدي
- إظهار الدين النصراني
- أمهات المؤمنين
- ميزان الحق وغيرها.

ومن بين المنصرين المشهورين/ القسيس فندر وكان أمريكيا كاثوليكيا لكنه تحول إلى البروستانتية إرضاء لزوجته البريطانية حتى أرسلته كنيسة انجلترا كرئيس المنصرين إلى الهند، وقد أبدى نشاطا ملحوظا في تجميع الناس في الشوارع، أو الوقوف على درج المسجد الجامع في دهلي، وإلقاء المحاضرات المناوئة للإسلام تحت حماية قوات الأمن البريطانية.

أما كتاب "ميزان الحق" الذي ألّفه فقد هاجم فيه على القرآن وأراد

التشكيك في بلاغته، كما تناول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بأسلوب مناف للأدب وأصبح كتابه مرجعا للقساوسة الآخرين، فلما استفحل أمره وتفاقم شره تحداه الشيخ رحمة الله الكيرانوي ودعاه إلى مناظرة علنية حول الموضوعات المطروحة إلى أن تم تحديد التاريخ وعقدت جلسة المناظرة الكبرى في مدينة آغرا واستمرت المناظرة يومين أمام الملأ الكبير والجمع الغفير، وانهزم القسيس فندر فاضطر إلى الهروب مع الدعايات الكاذبة.

ولما بلغ خبر هذه المناظرة إلى الآستانه دعا السلطان عبد العزيز خان، الشيخ رحمة الله الكيرانوي وأكرمه، وأشار إليه أن يقوم بتأليف كتاب شامل في الموضوع فألّف كتابه "إظهار الحق" وعددا من الكتب الأخرى في دحض النصرانية والدفاع عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، رحمه الله رحمة واسعة وكان لكتابه تأثير كبير في إيقاف مد التنصير.

ومن الأعلام الذين واجهوا فتنة التنصير في تلك الفترة، الشيخ محمد علي المونجيري، والشيخ محمد قاسم النانوتوي، والدكتور وزير خان الذي عمل كمساعد للشيخ أثناء المناظرة.

أما الشخصية الثانية التي جعلت الحوار وسيلة للدفاع عن الإسلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم الشيخ العلامة محمد قاسم النانوتوي رحمه الله المتوفى ١٢٩٧هـ.

فقد كان رحمه الله يمثل المسلمين في المباحثات مع أهل الديانات الأخرى التي كانت تنظم في مناطق مختلفة، يشارك فيه القساوسة المسيحيون،

وكهنة الديانة الهندوسية، وعالم مسلم يمثل المسلمين ويدافع عن الإسلام، يبذل كل واحد منهم قصارى جهده لإثبات أن دينه هو الحق، ودين غيره باطل.

وقد استطاع الشيخ بإلحاق الهزيمة لكافة المناوئين في مدينة "شاهجهانفور" حيث كان الإنكليز يهتمون بإقامة مهرجان شعبي كبير يسمي "**بميله خدا شناسي**" (مهرجان معرفة الإله).

وإن مؤلفات الشيخ "مباحثه شاهجهانفور"، و"حجة الإسلام" و"البراهين القاسمية" كلها تزخر بأدلة دامغة لدحض أباطيل النصارى وأساطير الهندوس، وإقامة الحجة على صحة دين المصطفى صلى الله عليه وسلم وبيان ما في أحكامه من أسرار ومصالح.

أما الشخصية الثالثة: التي أريد أن أذكرها هو الداعية المعروف/ أحمد حسن ديدات.

ولد في الهند عام ١٩١٨م واستوطن جنوب أفريقيا ونبغ كأكبر رجل العصر في دحض أباطيل النصارى ومناصرة الدين الإسلامي الحنيف في مواجهة القساوسة.

ظروفه العائلية لم تساعده في إكمال دراسته، ولكنه تبنّي كتاب "إظهار الحق" للعلامة رحمة الله الكيرانوي في مقتبل حياته وبنى عليه ثقافته، وإن ذهنه الوقاد، وذاكرته القوية، ومقدرته الخطابية الفائقة، ولغته الإنكليزية الرصينة جعلته أكبر متحدّ للقساوسة في الدفاع عن هجومهم على القرآن الكريم أو شخصية النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، وبيان حقانية القرآن الكريم،

وإثبات التحريف في كتب العهد العتيق والجديد.

دخل في المناظرات مع العديد من القساوسة اللامعين، وألحق بهم هزيمة فعمت شهرته على مستوى العالم، وإن خوضه في المناظرة مع القس الأمريكي البارز/ جيمي سواجارت في ساحة إحدى الجامعات الأمريكية، وانتصاره وهزيمة القسيس أمام الملايين من الناس جعل اسمه على لسان كل صغير وكبير كمحاور قدير وداعية بارز.

أنشأ مركز الدعوة الإسلامية في بلاده ونشر مجموعة من الكتب، وألقي المحاضرات في أفريقيا وأمريكا ولندن، وماليزيا والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وغيرها من الدول، فتناول فيها مواطن الضعف في كتب العهد القديم والجديد، واختار لكتبه ومحاضراته عناوين مثل:

- القرآن فريد في تدوينه.
- بين الإسلام والنصرانية.
- هل الكتاب المقدس كتاب الله؟
- بشرى موسى لمحمد صلى الله عليه وسلم.
- العلوم، والوحي القرآني.
- محمد صلى الله عليه وسلم، الأعظم بين الأنبياء.

قد وزعت ملايين النسخ من كتبه وأشرطته، ونال جائزة الملك فيصل العالمية في عام ١٩٨٦م.

وبعد عمر حافل بالانجازات في مجال الدعوة انتقل إلى رحمة الله في عام ٢٠٠٥م عن عمر يناهز ٨٧ عاما.

وقد ترك أثرا كبيرا في الطبقة المثقفة بثقافة عصرية، فرحمه الله رحمة واسعة وتغمده برضوانه.

كل هذه الأمثلة تدل على أن الحوار مع الغير كان له أثر بالغ في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم سواء سميناه مناظرة، أو محاورة، أو جدالا حسنا، وسواء تم ذلك بشكل شفوي ومباشر أو في صورة تأليف كتاب يتناول الشبهات حول الإسلام من أهل الديانات الأخرى ويرد عليها بأسلوب قوي وأدلة دامغة.

ولعل البعض في عصرنا الحالي يأنف من سماع كلمة "المناظرة" أو "المجادلة" وما شابه ذلك ويتبادر إلى ذهنه معنى اللدد والخصومة لذا يحبذ استخدام كلمة "الحوار" ولا شك أن المسلمين لا ينادون إلى "صدام الحضارات" ولا يبيحون الاعتداء على المسالمين، وأن مشروعية الحرب في الإسلام خاضعة لقانون العدل واحترام آدمية الإنسان ، وليست لإخضاع الشعوب ونهب ثرواتها.

وإن التعايش الآمن من أصول العلاقات الدولية في الإسلام إذا لم تكن فتنة أو طغيان من أهل الكفر، وإن الإسلام يحرم الظلم بجميع صوره وأشكاله يقول الله عز وجل: {وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لا تَعْدِلُوْا، إعْدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (المائدة: ٨).

وإن التنوع الحضاري واقع لا يمكن إلغاءه والمطلوب هو حسن التعامل معه واختيار الأنفع والأصلح منه.

ويمكن تلخيص أهم نقاط البحث فيما يلي:

- الحوار وسيلة حضارية لتبادل الأفكار وإقناع الآخرين بالفلسفات والأيدلوجيات، والإسلام لا يمانع من إجراء الحوار حول المعتقدات بل يطالب بإقامة الحجة والبرهان على صحة ما يعتقده الإنسان.
- إن القرآن الكريم يقدم نماذج من الحوار بين الأنبياء وأقوامهم، وبين الراشدين والملحدين، وبين الفئات المختلفة من الناس بل ويحاور مع الطغاة والجبابرة وإبليس أيضا.
- إن الرسول صلى الله عليه وسلم استخدم الحوار كوسيلة للدعوة إلى دينه وقدم نماذج رائعة ومؤثرة للحوار اللطيف والمفيد.
- ظل الحوار الهادف سائدا بين السلف الأقدمين كوسيلة للدفاع عن سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وحماية الدين وإقناع الناس وإفحام الملحدين والمنحرفين عبر القرون.
- يحث القرآن الكريم على المجادلة الحسنة وقد طور علماء المسلمين أساليب المجادلة والمحاورة وألّف العلماء قديما وحديثا كتبا في آداب البحث والمناظرة.
- انتشرت مجالس المناظرات حول الموضوعات الفقهية والاعتقادية وغيرها في عصر بعض الخلفاء العباسيين وخاصة بعد ترجمة علوم اليونانيين وازدهار سوق المناطقة والفلاسفة والمتكلمين.
- إن جهود علماء المسلمين في الحوار مع أهل الديانات الأخرى كانت رائعة ومجيدة وتعتبر أسماء الأئمة: الباقلاني، والاسفرائني، وابن القيم، والكيرانوي، والنانوتوي وديدات بارزة ومهمة في الدفاع

عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

- إن مبادرة خادم الحرمين الشريفين لفتح باب الحوار مع أهل الديانات المختلفة خطوة موفقة وحكيمة وهي الطريقة المثلي للتفاهم بين الشعوب وتخفيف حدة التوتر وإبراز خصائص ومزايا الدين الإسلامي الحنيف أمام العالم.
- إن الحوار النافع يتطلب إيجاد كوادر مدربة من المحاورين الذين يجيدون لغات العالم الحية إلى جانب إطلاعهم الواسع على ثقافات وديانات الشعوب المختلفة لذا أقدم اقتراح إنشاء معهد علمي متطور ومزوّد بكافة المتطلبات من المدربين، والمصادر عن الثقافات والحضارات والديانات المختلفة، يقوم المعهد بتدريب وتخريج دعاة ذوي كفاءات عالية، بارعين في التفاوض والمحاورة بأسلوب ذكي ومؤثر . **والله ولي التوفيق**،،،

* * *

حوار مع أتباع الفلسفات الوضعية

(بحث مقدم في مؤتمر الحوار العالمي الأول بمكة المكرمة)

مقدمة:

من الواضح للعيان أن "الفلسفات الوضعية" فشلت فشلا ذريعاً في إسعاد البشرية، فكلما أرادت تلك الأفكار حل مشكلة فكرية، أو اقتصادية أو اجتماعية؛ تعقدت تلك المشكلة، وتحولت من حالة إلى ظاهرة، ومن ظاهرة إلى أزمة، وكلما أريد علاجها اتسع الخرق على الراقع، وبدأ المجتمع الإنساني يئن منها.

والسبب في ذلك أنها جعلت التفكير الإنساني وحده أساساً لحل كافة مشكلات الحياة الإنسانية المادية والروحية ، واستغنت عن الوحي الإلهي تماماً، أو مالت إلى ممارسات وطقوس تراكمت عبر القرون بسبب الجهل والخضوع أمام مظاهر الكائنات.

ومن المعلوم أن الإنسان لا يملك عقلا محضاً ، بل إنه يحمل أيضاً من العواطف والأهواء ما يدفعه إلى الخير حيناً وإلى الشر في أحايين كثيرة ، ولا يتصور "عقل محض" غير خاضع أو متأثر من الأهواء أو الظروف والأوضاع.

إن "النبوة" وراء طور العقل والتفكير، فالحقائق التي يعجز العقل عن

إدراكها تأتي النبوة لتثبتها وتحققها ، من أجل ذلك ربط الله سبحانه وتعالى إرشاد البشرية بالأنبياء، فأرسل الرسل وأنزل الكتب من السماء.

إن العقل نعمة عظيمة وجوهرة نفيسة، وفيه سر تكليف الإنسان؛ لكنه غير كاف لإرشاد الإنسان إلى مصالحه في الدارين وفي كتاب "نقد العقل الخالص" (Critique Of Pure Reason) للفيلسوف الألماني عما نويل كانت (Emanuel Kant) الذي نشره عام ١٧٨١م أكبر دليل على ذلك، وكان الكتاب قد أحدث ضجة كبيرة في الأوساط العلمية وهزّة واضطراباً في الأوساط الفكرية والفلسفية، وقيل عنه: إن هذا الكتاب قطعة حية خالدة تدل على عظمة الفلسفة وكمالها، أضاءت معالم الطريق في متاهات الفكر الإنساني وحيرته.([1])

يقول كانت (Kant): "إن الفكر يبدأ بمهمته بالدعاوي، ويعتمد على صحة مقدماته ومفروضاته وطاقاته، ويكون على ثقة بأنه حلّ جميع المسائل ووصل إلى كنه الكون.

ثم يأتي عليه زمان يتجلّى فيه أن هذه الأبنية العقلية والفكرية لا تنطح السحاب، ولا تسمو إلى الأفلاك، ثم تبدأ فترة الارتياب والتشكيك.

لذا يجب علينا البحث في عقولنا، وإدراكنا، وماهية علمنا، ونوعيته، حتى نكشف عن نوع الصور والقوى التي نتمتع بها لفهم الأشياء وإدراكها؛ وإلى أي مدى نستطيع أن نسير في ضوئها". ([2])

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ٢/٣٨.

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ص: ٣٠- ٣١.

ولم يكن الفيلسوف الألماني كانت (Kant) هو أول من انتقد العقل الإنساني واستبعد وجود "العقل المحض" بل قد سبقه علماء المسلمين الاعلام في نقد العقل المحض يقول العلامة المؤرخ ابن خلدون موضحاً حقيقة العقل وقدرته على إدراك الحقائق: "فاتهم إدراكك ومدركاتك في الحصر، واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك؛ فهو أحرص على سعادتك، وأعلم بما ينفعك، لأنه من طور فوق إدراكك ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه ؛ بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فيطمع أن يزن به الجبال، هذا لا يدل على أن الميزان في أحكامه غير صادق، ولكن العقل قد يقف عنده، ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه – وتفطن في هذا لغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا، وقصور فهمه واضمحلال رأيه فقد تبين لك الحق من ذلك".

و يقول الفيلسوف ابن سينا معترفاً بعجز العقل الإنساني عن إدراك بعض الحقائق:

"أما المعاد الجسماني وأحواله فلا يمكن إدراكه بالبرهان؛ لأنه ليس على نسبة واحدة" وقد بسطته لنا الشريعة الحقة المحمدية فلينظر فيها ولنرجع

في أحواله إليها.([1])

و يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "فلا غنى بالعقل عن السماع ولا غنى بالسماع عن العقل، فالداعي إلى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة مغرور، فإياك أن تكون من أحد الفريقين، وكن جامعاً بين الأصلين".

فإن العلوم العقلية كالأغذية، والعلوم الشرعية كالأدوية، والشخص المريض يستضر بالغذاء متى فاته الدواء، فكذلك أمراض القلوب لا يمكن علاجها إلا بالأدوية المستفادة من الشريعة، وهي وظائف العبادات والأعمال التي ركبها الأنبياء صلوات الله عليهم لإصلاح القلوب، فمن لا يداوي قلبه المريض بمعالجات العبادة الشرعية واكتفي بالعلوم العقلية استضر بها ؛ كما يستضر المريض بالغذاء، وظن من يظن أن العلوم العقلية مناقضة للعلوم الشرعية، وأن الجمع بينهما غير ممكن، ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه. [2]

كما يقول الشيخ الإمام أحمد السرهندي رحمه الله في رسائله: "إن العقل لا تزال علاقته بالجسم العنصري ، ولا يجد إلى التجرد الكامل أو التحرر المطلق سبيلاً ، فإن القوة الوهمية تمسك بزمامه، والقوة المتخيلة تأخذ بلجامه، وقوة الغضب والشهوة كالظل المرافق له، وخصال الحرص والطمع الذميمة لصيقة به، وإن السهو والنسيان من لوازم الإنسان، والخطأ والغلط

---

(١) نقلاً عن ابن خلدون ص: ٤٥٧.

(٢) العقل والنقل ١١٢.

من خصائص البشر، ولا يزولان عن العقل، فليس العقل إذا جديراً بالثقة والاعتماد، وليس أحكامه ونتائجه متحررة من قيود الوهم، والتصرف والخيال، وليست مصونة من اختلاط السهو والنسيان... لذا تبقى العلوم المحصلة من تصرفات العقل وحده موضع شك فلا يمكن الثقة بها والركون إليها".[1]

يولد الإنسان فارغ الذهن صافي القلب من غير أن يحمل معه شيئا من العلم: {واللهُ أخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُوْنِ أمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُوْنَ شَيْئاً وَّجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأبْصَارَ وَالأفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ}. (النحل: ٧٨)

فهو يخرج من بطن أمه ومعه أدوات التلقي ونوافذ استقبال المعلومات: السمع والبصر والفؤاد؛ إضافة إلى حواس الشم، والذوق، واللمس. أما العقل فهو جهاز لاقط ومتصرف فيما يتلقاه من معلومات، فبعد ما يكتمل نمو العقل يقوم بترتيب أمور معلومة توصل إلى أمور مجهولة.

و إن دماغ الإنسان مزود بأجهزة الحفظ والتخزين للمعلومات، كما أن له الأعوان من قوة الوهم والتخييل، وليس العقل مترفعاً نزيهاً في التفكير، بل كما سبق يخضع للعواطف وما يحمل الإنسان من مطامع وأهواء.

ثم إن العقل مثل طاقات السمع، والبصر، إدراكه محدود، فليس بإمكانه أن يعي ويخوض في الأمور الغيبية ويحيطها علماً، من أجل ذلك يحتاج الإنسان إلى موجه خارجي غير خاضع للأهواء والأطماع.

"فالوحي الإلهي" صمام الأمان بالنسبة للإنسان لوضع الحد على

---

(١) الرسالة رقم ٢٦٦.

الشخصانية والمطامع الذاتية".

فإن العقل الإنساني إذا لم يكن خاضعاً لوحي سماوي ويكون تابعاً للهوى؛ فيورد الإنسان في المهالك، يبرر له كل تصرف سيء ويزين له كل الجرائم والمعاصي.

فلا يشك أحد يحمل قلباً راشداً وعقلاً واعياً في أن حادث إلقاء القنبلة الذرية على المدنيين اليابانيين تشكل جريمة حصدت أرواح مئات الألوف من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء، وقد استنكر الجميع هذا الواقع؛ لكن محرر دائرة المعارف البريطانية يبرر هذه العملية ويقول: إن هذا الحادث أنقذ حياة أكثر عشرة ملايين من الناس الذين كانوا سوف يقتلون في حالة استمرار الحرب الدائرة بين الفرقاء.

هكذا العقل يبدع في تحويل الجرائم إلى البطولات، والمنكرات إلى المسلّمات، فقبل مئات السنين دعا أحد زعماء القرامطة المدعو/ عبيد الله بن حسن القيرواني أتباعه إلى الزواج مع البنات والأخوات؛ معللاً أنه من غير المعقول أن يقدم الإنسان أختاً جميلة إلى رجل أجنبي ويأتي في بيته بامرأة أجنبية أقل جمالاً منها، فإذا كانت الأخت بإمكانها أن تسعد أخاها في تقديم الطعام والشراب، فلم لا تصلح أن تكون زوجاً له!؟

فعلى جميع الأتباع أن يتزوجوا أخواتهم ، ولا يأتوا في بيوتهم بنساء أجنبيات من غير العائلة، فقد حث الناس على الزواج مع المحرمات الأبدية ، وقدم لها تبريراً عقلياً مع أن الأمر مستكره طبعاً يرفضه الإنسان فطرة.

ومن المعلوم للجميع أن البرلمان البريطاني أقر القانون الخاص بالشذوذ

الجنسي وبزواج الرجل بالرجل مع التصفيق من الوزراء والنواب، كما يوجد في الغرب نوادي ومنظمات تدافع عن الشذوذ الجنسي.

وكثير من الوزراء والنواب، يتفاخرون بارتكابهم هذه الرذيلة مع أن جميعهم يحملون العقول، وبعض منهم مبدعون في مجال اختصاصاتهم العلمية والفنية.

إذا لابد من قانون سماوي يرشد العقول وتهدى وتهذب النفوس ويفك عقول الناس من أسر المطامع والشهوات.

أما "الفلسفات الوضعية" أو الديانات غير السماوية، فهي مليئة بالأوهام، ممزوجة بالأساطير، فيها ما يتنافي مع الشرع الإلهي ويناقض العقل والنقل والفطرة جميعاً ؛ ومع ذلك هناك ملايين من البشر يدينون بها ويتبعونها، وتحدث لهم مشاكل مع أهل الديانات السماوية؛ فالحاجة قائمة بل ماسة للحوار معهم وحثهم على احترام النفس الإنسانية وعدم الحيلولة دون وصول الإنسان إلى الحق والصدق.

ليس المراد "بالفلسفات الوضعية" هنا المذاهب الفكرية والفلسفية الحديثة مثل الوجودية والعلمانية والفوضوية والإنسانية وما شابه ذلك كما يتبادر إليه الذهن، بل المقصود منها تلك الديانات غير السماوية التي اخترعها الإنسان والتزم بها كالتزام أهل الديانات السماوية، وهي في الواقع مجموعة أفكار فلسفية وأساطير خرافية وطقوس وممارسات دينية مألوفة منها وغير مألوفة.

هذه "الفلسفات الوضعية" هي مثل الهندوسية، والبوذية، والجينية،

والسيخية، والشنتوية، والطاوية، وغيرها.

و يبلغ عدد البوذيين والهندوس معاً ما يقارب مليارى نسمة في كل من الصين والهند، واليابان والكوريتين بالإضافة إلى سري لنكا، والدول الأخرى الصغيرة المجاورة لها.

و إن أي برنامج للحوار الدولي بين الأمم والشعوب لا يمكن إنجاحه بصرف النظر عن هذا العدد الهائل من البشر، فمن الطبيعي أن تدرس هذه الفلسفات الوضعية أو الديانات غير السماوية، وتبحث نقاط الإيجاب والسلب في تعاليمها وفي المعتقدات التي يؤمن بها أتباع هذه الفلسفات والديانات؛ خاصة هناك احتكاك مباشر معهم للأقليات المسلمة التي تعيش في ظل هيمنة الهندوسية أو البوذية.

كما أن تقارب المسافات بين البلاد والأمصار وظهور الأدوات الحديثة للاتصالات والمعلومات قربت كل الشعوب بعضها ببعض، وأوجدت مصالح مشتركة بين الدول الإسلامية والبلاد التي يدين معظم أفراد سكانها بتلك الديانات والفلسفات.

إن الحوار مع أهل الديانات السماوية وكذلك مع أتباع الفلسفات الوضعية مطلب شرعي؛ سواء كان بهدف إيصال الخير والصدق إلى الناس، أو من أجل إيصال الناس إلى الحق والصدق؛ خاصة في وقت أصبح العالم فيه على صفيح ساخن يهدد العالم بنشوب حرب تأتي على الأخضر واليابس، فتكون كارثة مدمرة للإنسانية جمعاء.

و المسلمون هم أولى الناس بالمبادرة إلى حوار شامل لإنقاذ الإنسانية

مما تعاني منه، وإظهار ما لديهم من مبادئ ومثل وعقائد وآداب لأن الناس في أمس الحاجة إليها.

إن شعار عقد الحوار مع كافة الأمم والشعوب الذي طرحه خادم الحرمين الشريفين خطوة جريئة ومبادرة عظيمة تعود بالنفع على الأمة ثم على الإنسانية جمعاء، وذلك لما في الحوار المتبادل من تأثير في نزع فتيل الصراعات والاشتباكات بين الأفراد والجماعات.

إن حب الخالق فطرة جُبِل عليها الإنسان، وإن نزعة التدين وظاهرة الالتزام قديمة قِدَم الإنسان نفسه، ففي فترات التاريخ التي طال فيها الأمد ولم يبق فيها التزام بالهدى والكتاب المنير؛ مال الإنسان إلى اختراع الديانات والمعتقدات بنفسه واجتالت الشياطين من البشر، فصنع بعضهم آلهة لسدّ الفراغ الروحي، واخترعوا فلسفات ومعتقدات أضحت ديانات وتفرعت عنها فرق وطوائف، ودونت لها الصحائف والكتب، وأصبغت عليها القدسية وخضعت لها النفوس، وصنعت لها الهياكل والتماثيل، وبنيت لها الصوامع والمعابد.

وهناك فرق واضح ودقيق بين الأديان التي لها مرجعية دينية سماوية مثل الإسلام والمسيحية واليهودية ... وبين المعتقدات أو الفلسفات التي اخترعها الإنسان من أجل سد الفراغ الروحي في حالة غياب الأديان الصحيحة أو عدم الثقة في السائد منها؛ لأسباب دينية وبيئية حيناً؛ ونفسية وعنصرية حيناً آخر.

فالديانات السماوية مصدرها الوحي والنبوة، أما المعتقدات أو

الفلسفات الوضعية فمصدرها اجتهادات بشرية خاطئة، وما تراكم عبر القرون الغابرة من عادات شعبية وتقاليد وقصص وأساطير سيطرت على أذهان الناس. ومن هذه المعتقدات أو الفلسفات الوضعية: الهندوسية والبوذية والجينية والطاوية، وغيرها المنتشرة في ربوع الهند والصين واليابان وما جاورها من بلاد.

فالبوذية والهندوسية هما الأساس، ولهما الغلبة، فأعداد اتباعهما تفوق أعداد المنتمين إلى الديانات السماوية، أما الفلسفات والمعتقدات الأخرى السائدة في الشرقين: الأدنى والأقصى فتتفرع عنهما أو ترجع إليها، وقد انقرض بعض منها، وما زال كثير منها منتشراً بين الشعوب.

هذه الفلسفات هي الهندوسية والبوذية والسيخية والكنفوشيوسية (في الصين تحديداً) والشنتو (في اليابان تحديداً) والجينية (في الهند تحديداً) والطاوية (في الصين أيضاً) من المعتقدات أو الفلسفات الوضعية التي نحتاج إلى التحاور مع أتباعها وإيصال الخير إليها والبحث عن أسس التعايش معها من غير الإقرار أو التأييد للمبادئ التي تتكون منها والمعتقدات التي تؤمن بها.

وكانت الهند منذ أقدم العصور مسرحاً للغزوات ونزوح أعداد كبيرة من الطورانيين والآريين إليها والاستقرار فيها، يقول المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون: إن سكان الهند فقد أخذوا عن الطورانيين نسب أجسامهم وأشكال وجودهم، وعن الآريين أخذوا اللغة والدين والقوانين والسجايا والطبائع.[1]

---

(١) الحضارة الهندية: ١٠٤.

وقد فقد سكان الهند الأصليون المعروفون بالدراورد هويتهم الدينية والعقدية وشخصيتهم الاجتماعية والفكرية أمام الزحف المتتالي للآريين والطورانينن وغيرهم.

وإن التمازج بين الطورانيين والآريين هو الذي ولّد نظام الطبقات بين سكان الهند الأصليين المغلوبين وبين الوافدين المهيمنين من الآريين والطوارنيين، فتشكل من الآريين طبقة رجال الدين البراهمة (Brahman) وطبقة المحاربين (Kastria) ومن الطورانيين تكونت طبقة التجار والصناع (Vasya) أما السكان الأصليون فقد تحولوا إلى الخدم والعبيد أو طبقة الشودر (Sudra) والمنبوذين.

تكونت الفلسفة الهندوسية من عبادة القوى والمظاهر الطبعية، فاختار الأوائل آلهة منها ومن الحيوانات والعناصر الطبعية مثل النار والهواء العواصف والشمس وغيرها.

فمنذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد وإلى القرن الثامن قبل الميلاد كان قد انتشر بين الهندوس فكرة الإله "فارونا" (Varama) الذي ينظم تنظيم القوى الطبعية، والإله "ياما" (Yama) إله الموت، والإله "اندر" (Indar) المتخصص في الحروب والعواصف. فالفيدا الكتاب الهندوسي المقدس تتضمن الأناشيد والترانيم التي تقدس الشمس والنار والعواصف كما يوجد فيه ذكر الأفاعي والأبقار والقرود وغيرها ضمن الآلهة.

ثم جمع بعض الكهنة آلهتهم في "براهما" كالموجد والخالق للعالم و"فيشنو" كالمدبر والمنظم للأمور الكونية، وشيفا" كالذي يملك قوة الإهلاك

والتدمير.

ويتضمن الأوبنيشاد (Upanshad) التراث الفلسفي الهندوسي حول "الإله" و"الروح" و"براهما" وكان "شنكر" هو الذي قدم تصور الروح المطلق" أو الواحد الأوحد" وأطلق مثل هذه الأوصاف عمل "براهما" بأنه فوق جميع الآلهة.

إن مجموعة "الفيدا والأبنشد والبورانا" هي الكتب المقدسة في الفلسفة الهندوسية تعتمد عليها أساساً الديانة الهندوسية المنتشرة على رقعة كبيرة من العالم، ويمكن أن تضاف إليها مجموعة برهمان جرانت"، وهي في الواقع شرح وتفسير "للفيدا".

ويعتبر "رجفيدا" و"يجرفيدا" و"سام فيدا" من أقدم الكتب ألفت في أدوار ثلاثة يصعب تحديدها، ويوجد اختلاف كبير بين تقدير العلماء الهندوس والمستشرقين الغربيين عن زمن تأليف هذه الكتب، وحدد البعض نحو أربعة آلاف سنة.

كما يوجد اختلاف كبير في تحديد أماكن بعثة "الرشى" أو "النبي" الذي أوحيت إليه تلك الكتب.

وتعتبر مجموعة "الفيدا" أكثر الكتب استناداً وأصالة، وهي القاعدة الأساسية للديانة الهندوسية أو الفلسفة الوضعية التي يتبعها الهندوس يتلوها في المكانة "الأبنيشد" وبعض المحققين الهندوس يرجحونه على "الفيدا" أيضاً.

كما أن البورانا" يعتبر أكثر الكتب تداولاً وقبولاً بين الناس، وهو سهل الأسلوب واضح المنهج؛ على عكس "الفيدا" فإن فيها صعوبة وتعقيداً.

يتضمن "البورانا" تاريخ خلق الكون والقبائل الآرية كما يتضمن أيضاً حياة وتراحم الزعماء الدينين فيها وقد قسم "فياس" هذه الكتب في ١٨ جزءاً.

ومعنى كلمة "الفيدا": المعرفة" أو الحكمة"، تشمل "رجفيدا" على ١٠٢٨ بيت شعر، و"سام فيدا" على ٥٨٥ شعراً.

وفي "يجرفيدا" ترانيم خاصة تتلى وقت تقديم "القرابين إلى الآلهة.

وفي "اتهرفيدا" أدعية وابتهالات وعلاج السحر وبيان تأثير القوى الشريرة.

ومما يبعث على العجب أن بعض الدارسين قد جمعوا مجموعة كبيرة من النبؤات عن بعثة محمد –صلى الله عليه وسلم– وأوصافه وشمائله من "اتهرفيدا" ومن "البورانا" وغيرهما من الكتب المقدسة لدى الهندوس.[١]

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الأديان ترجع إلى أصل واحد ومهما حصل التغير في الكتب المقدسة القديمة فما زالت آثار الصدق باقية في بعض آياتها وتشريحاتها.

فإن صح ذلك فهو برهان جديد على صدق محمد –صلى الله عليه

---

(١) انظر على سبيل المثال "النبي العربي في كتب الهنادك المقدسة" لعبد الرحمن الجيري وكتب ورسائل لشمس نويد عثماني وإمام الدين رام نكري والشيخ ثناء الله الأمرتسري والشيخ إبراهيم السيالكوتي وغيرهم، وإن كان يرى آخرون أن هذه المبشرات موضوعة ولم يشر إليها البيروني وهو من أقدم الدارسين للديانات الهندية. والله أعلم

وسلم- وعلى كونه خاتم النبيين ورسول رب العالمين. وهذا الأمر يثير تساؤلات من جديد حول ما يسمى "بالفلسفلة الهندوسية" هل كانت في الأصل هي ديانة سماوية دخلها التغيير والتبديل على مرور الزمان؟ وهل ظاهرة عبادة الأصنام دخيلة أوجدها المحرفون كما فعل عمرو بن لحي في البلاد العربية بتغيير ملة إبراهم عليه السلام وإدخال الوثنية في التعاليم الهندوسية؟

يقول الله عز وجل: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ وجرت سنة الله سبحانه أن لا يعذب أمة حتى يبعث فيهم رسولاً، فهل من المعقول أن هذا العدد الهائل من البشر المنتشرين من الهند إلى الصين وما جاورها من البلاد لم يبعث فيهم رسول ولم يأت إليهم نبي؟!

وقد يكون من الطرائف أن نذكر أن أحد علماء الهند المعروفين بالعلم والذكاء وهو العلامة الكبير الشيخ مناظر أحسن الكيلاني رحمه الله كان يرى أن "ذا الكفل" المذكور في القرآن الكريم قد يكون هو "بوذا" الذي ولد في كبل وستو" وأنه ربما كان نبياً ، ثم حرّف أتباعه تعاليمه بعد مرور الزمن، علماً أن المفسرين اختلفوا في تحديد المقصود من "ذي الكفل" ولم يقدموا مستنداً قوياً على ما ذهبوا إليه بأن المراد من ذي الكفل هو إلياس عليه السلام لاحتمال أن يكون غيره.

هذا الرأي شبيه بما ذكره الإمام ابن حزم الظاهري عن "زرادشت" حيث يقول:

أما زرادشت فقد قال كثير من المسلمين بنبوته وليست النبوة

بمدفوعة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن صحت عنه معجزة.([1])

الفلسفات والمعتقدات الوضعية:

يوجد في شرق آسيا عدد هائل من البشر، فالصين هي الأولى من ناحية عدد السكان، تأتي بعدها الهند، فهذان البلدان يتجاوز عدد سكانهما معا مليارين نسمة.

ورغم وجود الإسلام والمسيحية وغيرهما من الديانات في تلك المنطقة فما زالت الكثرة الكاثرة من سكان الصين والهند والبلاد المجاورة لها مثل كوريا واليابان وغيرهما تعتنق الديانة البوذية والهندوسية بالإضافة إلى الشنتوية، والطاوية والكونفوشيسية إلى جانب السيخية والمهاريشية، وهذه فلسفات أساساً قبل أن تكون ديانات.

وإن القدر المشترك في تلك الديانات أو الفلسفات الوضعية ممارسات وطقوس تراكمت منذ مئات القرون، فهي على اختلاف طرقها وأساليبها تقدس المظاهر الطبيعة.

وها هي بعض تلك الفلسفات الوضعية أو المعتقدات التي تسود شرق آسيا وجنوبها.

ونظراً إلى تشابه الطقوس والممارسات بينها لا يمكن التمايز الحقيقي بينها:

البوذية:

---

(١) الفصل في الملل والنحل ص ٦١.

وهـي المنتشـرة في اليابـان والصـين والهنـد وكوريـا وكمبوديـا وسـيلان وغيرها من البلاد.

تقاليـد البـوذيين وطقوسـهم شـبيهة بتقاليـد الهنـدوس، كمـا أن عبـادة الأصنام وعقيدة تناسخ الأرواح مشتركة بين الديانتين؛ مع فارق ضئيل، وهو أن البوذيين لا يضعون في معابدهم غير تمثال بوذا، أما الهندوس فهم يعبدون كل صنم ، وتكثر التماثيل في معابدهم، ويأتي ذكر بعض خصائص البوذيين ضمن الحديث عن الهندوسية.

الهندوسية:

قـام المستشـرق الفرنسـي الشـهير "غوسـتاف لوبـون" بدراسـة أديـان الهند، وألّف كتابه المعروف عن "حضارة الهند" يلخص فيه معتقدات الهندوس في النقاط التالية:

(١) عبـادة القـوى الطبيعيـة (٢) تشـخيص هـذه القـوى بأسمـاء الآلهـة (٣) اعتقـاد خلـود الـروح (٤) عبـادة الأجـداد (٥) تقـديم القـرابين إلى الآلهـة وتخصـيص بعـض منهـا للمطـر، وآخـر للصـحة، وإلـه آخـر للمـال، كمـا أن الاعتقاد بتناسخ الأرواح من عقائد الهندوس عموماً.

تبتنى الفلسـفة الهندوسـية على النظـام الطبقـي والتفرقـة العنصـرية بـين أجناس البشر وتوجد الإشارة إلى هذه الحقيقة في "فيدا" الكتاب المقدس لدى الهندوس.

كمـا أن "شـرائع منـو" المعـروف "بمنـو شاسـتر" تقـرر ذلـك وتحـدد الطبقات في النظام الاجتماعي الهندوسي.

و هذه الطبقات البشرية في الفلسفة الهندوسية الوضعية كالتالي:

(١) البراهمة: (وهم طبقة الكهان ورجال الدين وهي أعلى الطبقات).

(٢) الأكشرية: (طبقة المحاربين وعليهم الدفاع عن البراهمة وتوفير الأمن في المجتمع).

(٣) الفيشية: (وهم طبقة الزراع والتجار، عليهم توفير وسائل العيش للبراهمة والمحاربين).

(٤) الشودرا: (وهم أسفل الطبقات، ويسمون بالمنبوذين أيضاً ليس لهم أي حق ويجب عليهم أن يخدموا الطبقات العليا، وهم أنجاس مناكيد في الفكر الهندوسي ليس لهم أن يقرءوا الكتب الدينية أو يشربوا من نفس الكوب الذي يشرب منه البراهمة.

و يعلل المشرّعون لهذه الفلسفة المبنية على العنصرية والفوارق الطبقية قائلين: إن الرب المولى حينما أراد أن يتكاثر الجنس البشري فخلق من فمه: البراهمة، ومن ذراعه: الأكشيرية، ومن فخذه: الفيشية، ومن رجله: الشودر أو المنبوذين، فالدرجات متفاوتة وفق خلق الرب لتلك المجموعات البشرية.

والمسئوليات أيضاً موزعة، فالرب عندهم هو الذي حدد الأعمال والمسؤوليات، لكل من تلك الطبقات حسب درجات تلك الفئات.

فعهد إلى البراهمة دراسة الكتب المقدسة والأسفار المعروفة بالفيدا، وتعليمها وتقديم القرابين إلى الإله وقبول العطيات من الفئات الأخرى.

و فرض على الأكشيرية حماية الشعب والتضحية في الدفاع عن

البراهمة وتلاوة الكتب المقدسة وعدم الانهماك في الشهوات.

و خص الفيشة، بتربية المواشي وأداء الزكاة وتقديم التضحيات في سبيل إسعاد الطبقات العليا إلى جانب ممارسة الأعمال التجارية والأنشطة الاقتصادية.

أما "الشودر" فأوجب عليهم أن يخدموا تلك الطبقات العليا وخاصة البراهمة وأن يعيشوا حياة الذل طوعاً أو كرهاً.

إن الفلسفة الهندوسية قائمة على تقديس المظاهر الطبيعية المختلفة وعبادة كل شيء يضر أو ينفع من الأبقار والثعابين والقرود وغيرها لاعتقاد الهندوس بأنها تمثل قدرات وصفات الآلهة المختلفة من أجل ذلك كثرت لدى الهندوس الأصنام والتماثيل، فالمعابد الهندوسية تغص بملايين الأشكال من التماثيل والأصنام والأشكال الغريبة والموحشة.

يقول الدكتور رادها كرشنن رئيس الجمهورية الهندية الأسبق وأحد فلاسفة الديانة الهندوسية الأبرز مفتخرا على انتمائه الديني: "إن من سعة وسماحة الديانة الهندوسية أن من يعبد ألف إله من شجر وحجر هو هندوسي، ومن لا يعبد شيئاً يبقي أيضاً هندوسياً ، ولا يخرج من دائرة الهندوسية الواسعة والفضفاضة بسبب ترك بعض العقائد أو التقصير في العبادة والعمل".

و قد مال بعض المنظرين الهندوس إلى اختصار الطريق وتقليل عدد الآلهة، وذلك بتحديد الآلهة الأساسيين وهم ثلاثة:

(١) الإله شيفا (Shiva)

(٢) الإله الفيشنو (Vishnu)

(٣) الإله براهما.

فالأول هو إله الحياة والتغير في الكون أما الثاني فهو الحافظ لنظام الكون أما الخالق البارئ فهو "براهما" وهو فوق الآلهة جميعاً.

علماً أن عامة الناس لا يفرقون بين إله وإله ويشركون بها جميعاً وينسبون إلى كل منها أنواعا معينة من الكمالات وإن كان بعض المثقفة من الهندوس يصرحون أحياناً بأن الله هو واحد وهو الذي حل في باقي الآلهة وهو برهما أو رب الأرباب.

الجينية:

ومن الفلسفات الوضعية ذات صبغة دينية أيضاً ما يسمى "بالجينية" وهي في الواقع حركة عقلية حاولت التحرر من سلطان الديانة الهندوسية وهي تعتمد في نظامها التطبيقي على الرياضات الشاقة والمراقبات المتعبة وطريقها الرهبانية لكن غير رهبانية البراهمة.

فالجينيون يرون أنه لا يوجد روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون وأن أرواح الإنسان والحيوانات كلها خالدة وتجري عليها التناسخ.

و هو دين مسالم أو فلسفة تبالغ في البعد عن العنف وتكره حتى قتل الهوام والحشرات الصغيرة.

رفض الجينيون آلهة الهندوس (برهما، فيشنو، وشيفا) ولكن جعلوا القديسين أو الجيناوات الأربع والعشرين أنفسهم آلهة تعبد.

فلا صلاة عند الجينيين ولا قرابين للآلهة، ولا يقرون بالطبقات بين

أجناس البشر وقد قسم "بارسواناث" أحد أبرز الكهنة الجينيين إلى الخاصة وهم الرهبان، والعامة وهم الذين يؤيدون النظام.

يؤمن الجينيون بالتناسخ، كما يؤمنون بالحسنة والسيئة، والنجاة في الفلسفة الجينية هي في التخلص من قيود الحياة، وإن السبيل إلى النجاة شاق وعسير ولابد للنجاة من قهر جميع المشاعر والعواطف، ومن غرائب الأمور أن الجينيين لا يرون بأساً في العرى أمام الناس كما يؤيدون الانتحار أيضاً للتخلص من مشاكل الحياة.

و قيل في خلاصة الفلسفة الجينية اليواقيت الثلاثة:

الياقوتة الأولى: الاعتقاد الصحيح.

الياقوتة الثانية: العلم الصحيح.

الياقوتة الثالثة: الخلق الصحيح.

ولا شك أن هذه حِكم مفيدة وآداب لطيفة إذا تم تطبيقها في الواقع العملي، ويصف الجينيون رائدهم الديني ""مهاوير" المولود في ٥٩٩ ق م بأوصاف الكمال فيقولون:

إنه كان حراً كالطير، جسوراً كالفيل، قويا كالثور، مهيباً كالأسد، ثابتاً كالجبل، عميقاً كالبحر، وديعاً كالقمر بهياً كالشمس طاهراً كالإبريز وذلك لأنه كان قد مارس الرياضة الروحية والجسدية الشاقة طوال ١٢ عاماً.

وبالمقارنة بين هذه الديانات يظهر أنه يغلب على التفكير الهندوسي الميل إلى تعدد الآلهة، بل قد بلغ التعدد عند الهندوس إلى درجة أنهم يعبدون

الماء والنار والأنهار والجبال وكل شجر وحجر أو جماد وبقر وإن كان تاريخ الفلسفة الهندوسية لا يخلو من فكرة التوحيد فيطلقون على الخالق الحقيقي رب الأرباب وإله الآلهة لكنهم لا يترددون في عبادة الأصنام وتقديم القرابين للآلهة.

أما الجينيون فإن كانوا قد رفضوا في بداية الأمر تصور الإله أو وجود روح أكبر أو خالق أعظم لهذا الكون وذلك بسبب سوء تصرف الكهنة الهندوس والذي ألجأهم إلى إيجاد فلسفة جديدة لكنهم في نهاية الأمر جعلوا ""مهاوير" إلهاً بل بدؤا يعبدون الكهنة الأربعة والعشرين المعروفين بالجيناوات.

أما الأدب المأثور عن بوذا فيكاد يخلو من ذكر الإله إثباتاً أو نفياً بل كان يمنع أصحابه من الخوض في اللاهوت أو البحث عما وراء الطبيعة مع ذلك أصبح بوذا هو الإله لدى أتباعه فيعبدون تمثاله ويسجدون أمامه.

ومن الكتب المقدسة لدى الهندوس إلى جانب "فيدا":

١- مها بهارتا (Maha Bharta)

٢- كيتا (Gita)

٣- يوجا واسستها (Yoga vesisthe)

٤- رامائنا (Ramayana)

تتكون الفلسفة الوضعية الهندوسية بمزيج من العادات والتقاليد والمعتقدات التي كانت سائدة في سكان الهند الأصليين وما جلبه إليها التورانيون والغزاة الآريون وما تراكمت خلال القرون الطويلة من الأساطير.

ومن معتقدات الهندوس الإيمان بوحدة الوجود وتناسخ الأرواح وإقرار

بنظام الطبقات وتقديم القرابين إلى الأصنام.

ويعتبر خروج "بوذا" و"مهاوير" من الديانة الهندوسية وإعداد فلسفة جديدة ونشر معتقدات مختلفة عن الهندوسية يعتبر ضربة قاضية على الهندوسية إلا أنها بسبب كثرة عدد أتباعها وانطواء أهل الهند على أنفسهم وابتعادهم حضارياً عن العالم الخارجي خفف آثار الانشقاق وساعد في استمرارها كمذهب غالبية عدد السكان.

الكنفوشيوسية:

منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة تخضع الصين لثلاث ديانات أو فلسفات أساسية هي:

١. الكنفوشيوسية
٢. الطاوية
٣. البوذية

دخلت البوذية عن طريق تركستان إلى الصين وانتشرت في الجماهير بينما ظلت الطبقة الاستقراطية من رجال الحكم وغيرهم ملتزمة بالكنفوشيوسية فكان تقام الطقوس والمراسيم وطريقة تقديم القرابين إلى الآلهة وفق فلسفة الكنفوشيوس.

(Kong-Foutsu) أو الكنفوشيوس ولد في ٥٥١ قبل الميلاد ومات في ٤٧٩قبل الميلاد وظل الصينيون يتناقلون تعليماته الأصلية جيلاً بعد جيل إلى أن قرر حاكم مملكة "هان" أن يتولى الكنفوشيوسيون مقاليد الحكم فأصبحت الفلسفة الكنفوشية دين الدولة.

وهنـــاك نحـــو تســـعة كتـــب تعتـــبر مـــن المقدســـات في الفلســـفة الكنفوشيوسية منها:

١. لي ، جي
٢. التعليقات على كتاب "الإلاجي" أو "التغيرات" وفيها أبحاث عن ما وراء الطبيعات.
٣. كتاب الشتى – جج" وهي عبارة عن بيان حقيقة الحياة البشرية ومبادئ الأخلاق الفاضلة.
٤. "التشوجج" أو كتاب التاريخ فيه حكايات عن طبائع الملوك.
٥. التشوسيتو أو حوليات الربيع والخريف.

تضاف إليها الكتب الأربعة الأخرى وهي:

١. "لون – يو" الأحاديث والأحداث
٢. "الدشوة" التعليم الأكبر وهو كتاب طريف يقال ألفه حفيد الكنفوشيوس.
٣. "جونج يونج" أو عقيدة الوسط
٤. "مفنيس" وفيه خروج عن المعهود في آراء الكنفوشيوس من تقديس الآراء القدماء.

الطاوية:

كلمة طاو (Tao) قبل كنفوشيوس كانت تستخدم بمعنى الطريق أو أسلوب العمل واستخدمها الكنفوشيوس بمعنى الطريق الصحيح للعمل أخلاقياً واجتماعياً وسياسياً ولم يعط لهذا اللفلظ أي بعد ميتافيزيقي، ومؤسس

الفلسفة الطاوية هو لاوتسي" أي العلم القديم.

وقد التقى كنفوشيوس بلاوتسي" في نزعه الأخير وقال لتلاميذه بعد عودته:

إني أعرف كيف يطير الطير، ويسبح السمك، ويجري الحيوان، لكن الذي يجري على الأرض يمكن اقتناصه، والذي يسبح في الماء يمكن صيده، والذي يطير في الجو يمكن إصابته بالسهام.

غير أن هناك تنيناً مهولاً ولست أستطيع أن أجد له مثيلاً غير التنين.([1])

ومن كتب الطاوية: "طاوتي كنج" أي كتاب الطريقة والفضيلة " وهو أهم النصوص الخاصة بالفلسفة الطاوية.

وكتاب من جزأين في الطاو والطاوية يشتمل على خمسة آلاف كلمة، ولما أتمه اختفى ولا أحد يدري أين مات.

والكتاب الثالث المقدس هو "جوانج تسو".

ومع التناقضات والاختلافات الكثيرة في الكتب المقدسة أو مراجع الفلسفات البوذية والهندوسية والطاوية والجينة والسيخية وغيرها توجد هناك نصوص وبنود يمكن أن تكون نواة لإيجاد ميثاق التعاون بين الشعوب أو محاور للحوار الموسع مع كافة الشعوب وإيجاد أرضية مشتركة للتعايش بسلام مع الاختلاف في المعتقدات والفلسفات.

فالكنفوشيوس الفيلسوف الصيني الكبير يقدم فكرة "الإنسان النبيل"

---

(١) قصة الحضارة ٤/٣٠.

أو الإنسان الكامل، وإن الأخلاق الفاضلة التي يدعو إليها هدفها إحلال السلام وتأمين السعادة لأكبر عدد من الناس فإنه كان دائماً يربط بين الأخلاق والسياسة لما بينهما من علاقة جوهرية وقد ركز الكنفوشيوس في تعاليمه على إصلاح الحكومة، يقول رداً على سؤال أحد الأشخاص:

"توجد الحكومة الصالحة حيث يكون الأمير أميراً، والوزير وزيراً، والأب أبا، والابن ابناً" كذلك تلاميذه مثل منشيوس" وهسون تسو" وغيرهما ركز على الإصلاح الاجتماعي والسياسي والابتعاد عن مسائل المنطق وفلسفة المعرفة والميتافيزيقيا.(١)

يعتبر الكنفوشيوس لدى الصينين مثل سقراط لدى اليونانيين.

ومنشويوس بمنزلة أفلاطون ويشبهون "هسون تسو" بأرسطو.

وكان اهتمام الثلاثة بإصلاح الحكم، والإصلاح الاجتماعي والزراعي والاقتصادي.

والفلسفة الطاوية أيضاً تدعو إلى نبذ الحرب والسلاح ليعيش الإنسان حياة مثالية.(٢)

ويرى مؤسس الطاوية أن أية حياة يحياها المرأ بصورة تلقائية فهي حياة سعيدة لا تنغصها المنازعات والحروب لأنه لا وجود للرغبة في الخصام والقتال وعندما لا توجد هذه الرغبة فإن أحداً لن يفكر بالقتال والحرب ويعم

---

(١) انظر: قصة الحضارة لويل دورانت، الأديان الجيه لأديب صعب، المعتقدات..... الشعوب.

(٢) الأديان الحية/٧٧.

السكون والسلام.

ومن أقوال لاوتسي" (المعلم القديم):

إذا لم تقاتل الناس فإن أحداً على ظهر الأرض لن يستطيع أن يقاتلك وألين الأشياء في العالم هو الماء لا شيء ألين وأضعف من الماء ولكن لا شئي أقوى من الماء في مغالبة الأشياء الصلبة القوية.([1])

وتؤكد الفلسفة البوذية أيضاً: أن الشر هو القتل، والسرقة، والفجور، والكذب والاغتياب، والثرثرة، والحسد، والحقد، والإيمان بعقائد باطلة وأما جذور هذه الشرور هي الشهوة والبغض والوهم.

ويدعو بوذاً إلى عدم القيام بأعمال شريرة وعدم ارتكاب خطايا ومن خطايا الجسد عنده: القتل والسرقة والزنى.

وقد جاء في الوصايا العشرة المعروفة بوصايا السنغاها: لا تقتل، لا تسرق، لا تزن، لا تكذب الخ.

وفي القرن الحادي عشر ظهر كتاب باسم أساس الدين([2]) لراهب بوذي يطرح **السؤال التالي**:

لماذا التصادم بين "بوذا" و"لاوتسي" و"كنفوشيوس" وثلاثتهم بشروا بالعقيدة نفسها يجب إذاً احترامهم.([3])

وهناك ظاهرة ملفته للنظر في المعابد والهياكل البوذية في الصين إذ

---

(١) قصة الديانات/٢١٧.

(٢) إنجيل بوذا/١١٠.

(٣) البوذية هذه ارفون/١٠٠.

يرى دائماً تمثال بوذاً يحيط به من اليمين تمثال كنفوشيوس، ومن اليسار تمثال "لاوتسي" مؤسس الطاوية. وهذا دليل تقدير الجميع أتباعهم مع اختلاف فلسفة كل واحد منهم.

ومن الفلسفات الوضعية أو المعتقدات التي تنتشر في اليابان

"الشنتو" ومن الكتب المقدسة لدى أتباعها: كوجيكي ونيهونجي وانجيشكي".

وأهم معابد الشنتويه معبد "ايزى" (Ise) يقع على بعد ٣٠٠ كيلو من طوكيو تؤدى فيه طقوس العبادة لإله الشمس.

فلسفة الشنتو تدعو إلى التفاؤل والعيش ببساطة والكشف عن العيوب الشخصية قبل عيوب الآخرين وترغب في الهدوء والسلام.

وهناك ديانة "زن" (Zin) وهي في الواقع امتداد للبوذية ولها طقوس خاصة.

السيخية:

مؤسس الديانة السيخية أو فلسفة السيخ هو غرو نانك (Gourou Nanak) ولد في بيئة هندوسية وبيت وثني وعاش في مناخ إسلامي وتأثر ببعض أهل التصوف من المسلمين واختار نهجاً جديداً للحياة الدينية وفلسفة جديدة لتزكية الروح.

فكان يؤمن بإله واحد ليس له مثيل ولا شبيه وعلمه محيط لكل شيء.

و لد غروناك (Gourou Nanak) في عام ١٤٦٩ ومات في ١٥٣٩ رافق

أثناء حياته الوظيفية بعض المرشدين المسلمين واختفى عن الأنظار فترة ثم ظهر ينادي بأنه صاحب رسالة ومبعوث إلى المسلمين والهندوس جميعاً وتتلخص دعوته في ثلاث قواعد هي:

١- الكد والعناء.

٢- الإحسان مع الآخرين.

٣- التأمل والتفكير.

تعاقب على زعامة السيخ تسعة أشخاص بعد وفاته ويلقب كل منهم "بغورو" أو "المعلم" و"السيخ" معناه "المتعلم" أو "المريد".

و في عهد الغورو الخامس أرجن (Arjun) تم بناء المعبد الذهبي في أمرتسر بولاية بنجاب.

في عصر الغورو العاشر غوبند سينغ تم إنشاء منظمة "الخالصة" ولقب السيخ بـ(Singh) (الأسد).

والتزم الاتباع حياة الزهد والتقشف والامتناع عن شرب الخمر والتدخين وأكل لحم الخنزير.

و"غرنت صاحب" هو كتاب السيخ المقدس، وتختلف الفلسفة السيخية عن "الهندوسية" فهي في تصورها للإله قريبة من مفاهيم الإسلام أكثر ميلا إلى التوحيد وتحتوي كتابهم المقدس على خليط من المفاهيم الإسلامية وغير الإسلامية وهو عبارة عن ٦٠٠٠ ترنيمة الغورو الخمسة الأوائل.

و شعارات السيخ الخمسة تبدأ بحرف الكاف وبها يتميز السيخ عن

غيرهم وهي:

١- الكيس (Kesh) الشعر يطيله السيخي المنتمى إلى الخالصة.

٢- المشط (Kangha) يحمله كل سيخي لترتيب شعره.

٣- الكشة (Kaccha) سروال قصير شبه بشورت عسكري.

٤- الكرا (Kara) سوار من الحديد يضعه السيخي في معصم يده.

٥- الكربان (Kirpan) خنجر يحمله السيخي.

و من لم يلتزم بالكافات الخمسة يعتبر خارجا عن الملّة، مرتداً، ويقتصر عبادة السيخ على قراءة الكتاب المقدس والسجود أمامه وتقديم القرابين له.

و يقوم السيخ أيضاً بحرق جثمان الميت وإلقاء الرماد في نهر "كنكا" المقدس كما هو المعهود لدى الهندوس.

لا توجد في أدبيات السيخ أو كتابهم المقدس ما يدفع الإنسان إلى العنف وأناشيد الكتاب المقدس تشمل على وصايا أخلاقية، وإن كانت هناك ثأرات وذكريات مؤلمة مع المسلمين فقد قام السيخ بذبح وحرق مئات الآلاف من المسلمين أثناء رحلة عذاب المسلمين إلى باكستان في عام ١٩٤٧م.

و بعد اقتحام الجيش المعبد الذهبي للسيخ واغتيال رئيسة وزراء الهند الأسبق في عام ١٩٨٤م وما أعقب ذلك من أحداث دامية أعادت الأمور إلى الطبيعة وأصبح السيخ يتعاطفون مع المسلمين.

و هناك ترانيم وأناشيد في كتاب السيخ المقدس فيه مدح لمحمد صلى الله عليه وسلم.

نماذج من بنود إيجابية في الفلسفات الوضعية:

في كتاب الهندوس المقدس (Gita) جاء ضمن تعليمات كرشنا: "إن الناسك الحق هو الذي لا يبغض أحدا، ولا يشتهي شيئاً ولا يرى غير الحق، ويجري وراء واجبه دائماً... ويرى جميع الأرواح كروحه ولا يفرق بينها، ولا يقصد بعمله إلا وجه الله وحده".

و في الأصول السبعة لأتباع الفلسفة الجينية:

١- أخذ العهود والمواثبق مع القادة الرهبان لأن يتمسك المريد بالخلق الحميد ويقلع عن الخلق السئ.

٢- والتقوى هي المحافظة على الورع والاحتياط في الأقوال والأعمال وفي جميع الحركات والسكنات، وتجنب الأذى والضرر لأي كان مهما كان حقيراً.

و في تعاليم بوذا تصريح:

بأن الاحترام للحياة إنسانية كانت أو حيوانية هي من أهم الأخلاق البوذية فليس لبوذي أن يقتل حيوانا في لهو كالصيد، أو في جد كذبحه للأكل بل عليه أن يرفق بالحيوان، ويعده أخاه في الخلق، ولا يراه خلقاً أدنى منه لأن السكينة الروحية والحب لكل نسمة هو ما أرشد له بوذا.

والمحبة الشاملة من أهم وأفضل الأعمال الحسنة وان الحسنات على اختلاف أنواعها لا تبلغ سدس فضل المحبة التي تحرر القلب من شوائب الشر..... ويجب على الإنسان أن يغرس في نفسه الحب العميق الصادق لسائر الخلق.

فإذا كانت هذه هي تعليمات ومبادئ "البوذية" و"الهندوسية" و"الجينية" على حد سواء فمن المستغرب حقا أن يعتدي بوذي أو هندوسي على إنسان مسلم، وإذا كان قتل الحشرات والهوام جريمة ومعصية في الفلسفة الجينية فحياة الإنسان ولو كان مسلماً - أحق وأحرى أن يحافظ عليها.

تعامل الملوك المسلمين مع غير المسلمين:

غالبية سكان الهند هندوس و بوذيون مع أن المسلمين حكموا الهند نحو ثمانية قرون و تركوا في ثقافتها أثراً غائراً و ملأوا ربوعها بمعالم حضارية مثل "تاج محل" و"القلعة الحمراء" و مئات من المساجد الملكية الفخمة' و مازال المسلمون يعيشون كأقلية بين نحو مليار نسمة من غير المسلمين و هذا أكبر دليل على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف و ان الحكام المسلمين لم يجبروا أحداً على اعتناق الإسلام أو ترك عبادة الأوثان.

يقول غاندي وهو أكبر زعيم هندوسي بلا منازع:

"إن الإسلام هو صوت الحق، ووقتما كان الغرب في ظلمات الجهل طلع على أفق الشرق نور الإسلام كنجم ساطع، لقد جاء الإسلام ليوفر السكينة في قلوب الإنسان المضطربة والقلقة في العالم، إن الإسلام ليس ديناً كاذباً' وقد أصبحت لدىّ قناعة بأن الإسلام لم ينتشر بالسيف".(١)

و "يقول رئيس وزراء الهند الأسبق جواهر لال نهرو في كتابه" من السجن إلى الرئاسة:

---

(١) جريدة هندو – لاهور ، عدد ١٩٣٨/٥/٢٢.

"لقد ترك الإسلام بصمة واضحة في ثقافة الهند' فقد علّم المسلمون أهل الهند أساليب الأكل واللباس وقضى الإسلام على عديد من التقاليد الوحشية السائدة في الهند مثل "ستي" (إحراق زوجة الميت بعد وفاة زوجها) كما ترك المسلمون معالم حضارية عديدة".

و يقول:

"إن أثر الغزاة من الشمال الغربي و من الإسلام على الهند كان عظيما فقد كانت لفكرة الاخاء الإسلامية و للمساواة النظرية بين المسلمين سحرها الكبير' و خاصة عند الطبقات الهندوسية المحرومة من أيما نظير لهذه المعاملة المتكافئة.

و من هذا الأثر الايديولوجي نشأت حركات مختلفة تهدف إلى عملية صهر و تأليف ديني و دخل كثيرون في الإسلام".([1])

لقد تعامل المسلمون الذين فتحوا بلاد الهندوس والبوذيين بمنتهى الرفق وكمال العدل وغاية السماحة والمداراة مع الرعايا البوذيين والهندوس وأتباع كافة الفلسفات الوضعية والمعتقدات الدينية، تشهد الوثائق التاريخية بأن الحكام المسلمين على اختلاف أصولهم العربية والتورانية والمغولية أعطوا رعاياهم من غير المسلمين كامل حقوقهم، وحريتهم الدينية، فلم يهدموا معابدهم بل خصصوا لها أراضي واقطاعات بمراسيم ملكية.

حتى إن أكثر الملوك التزاماً بتعاليم الدين الحنيف والذي يروج عنه أنه كان شديدا مع غير المسلمين قد أعطى عشرات من المعابد الهندوسية أراضي

---

(١) من السجن إلى الرئاسة ص ١٦٤.

واقطاعات.

يقول البرفيسور "سري رام شرما" وهو من الهندوس في كتابه المعروف "الإمبراطوية المغولية في الهند":

" لم أجد أي وثيقة تثبت أن الإمبراطور "بابر" قام بهدم أي معبد هندوسي ولا دليل على أنه آذى أي هندوسي من أجل أنه هندوسي".(١)

ويقول مؤلف هندوسي آخر وهو "كالكا رنجن قانون كو":

"إن الحاكم المسلم "شير شاه سوري" قد أقام نظاما عادلا للحكم و وفر للهندوس فرصة حقيقية للانتعاش الاقتصادي والسياسي، إنه حاول أن يؤسس وحدة قومية ووطنية بين المسليمن وغيرهم".

وقد نقل مؤلف كتاب دعوة الإسلام السيد/ تي، دبليو، آرنلد أن الملك الأورنك زيب عالمكير- الذي يتهمه أعداءه بالعصبية-:

كان قد رفض أن يطرد اثنين من موظفي البلاط لكونهما مجوسيين، يعبدان النار، وقال أن الوظائف تمنح بناء على الكفاءة وليس لاعتبارات أخرى".

ويقول أحد الأساتدة الهندوس وهو السر .C.P رائي:

"إن عصر أورنك زيب تميز بمنح الهندوس مناصب رفيعة واقطاعات و أراضي كثيرة.

لقد عهد أورنك زيب عالمكير إلى الهندوس منصب حاكم الولاية، وقائد الجيش، ونواب الحكومة، حتى ان الشخص الذي أسند إليه منصب

---

(١) الإمبراطورية المغولية في الهند ٥٥.

نائب السلطنة في ولاية أفغانستان كان أحد الهندوس من سلاله راجبوت".

وفي عام ١٩٣٦ كتب أحد كبار المفكرين الهندوس وهو الباندت سندر لال مقالا تحت عنوان: "حكم الإنجليز في الهند" يقارن فيه بين العصر الإسلامي والعصر الإنكليزي الاستعماري يقول فيه:

"إن عصر الأباطرة المغول: أكبر، وشاهجهان، وعالمكير وآخرين كان التعامل فيه بالمساواة والعدل بين الهندوس والمسلين من غير تمييز أو انحياز إلى فئة دون أخرى".

وهناك شواهد تاريخية ووثائق عديدة أن الملك المسلم أورنك زيب عالمكير كان قد أصدر مراسيم لمنح عديد من كهنة المعابد الهندوسية عطايا كما خصص اقطاعات وأراضي للمعابد نفسها.

ومازالت بعض تلك المراسيم موجودة ومتوارثة فيمكن أن يشاهد مرسومين من هذا النوع في "معبد سوميشورناث" بمدينة إله آباد لدى كهنة المعبد.

وكان عشرات من الهندوس يحظون بمناصب رفيعة في أجهزة السلطة.(١)

بل كانت هذه سياسة مستحكمة لدى الحكام المسلمين عموماً من أجل إدارة أمور بلد الأكثرية فيه لغير المسلمين' وعملا بمبدأ العدل بين الرعايا في الإسلام.

يوصي الامبراطور بابر ابنه همايون:

---

(١) مآثر الأمراء ٢/٣٥.

"يا بنيّ إن أرض الهند ذات ديانات وملل كثيرة فأحمد الله على أنه أعطاك الملك وعليك أن تبتعد عن كافة أنواع العصبية' وأن تقيم العدل بين الناس، ويمكن نشر الإسلام بالعدل بين الناس' وليس باستخدام السيف فحاول أن تجمع كافة أهل الديانات كما جمع الله سبحانه العناصر الأربعة في جسد الإنسان ليبقى الحكم مستقرا.([1])

كذلك الحال كان مستمراً إلى الأيام الأخيرة من حكم المسلمين في الهند فالأمير الشجاع الشهم السلطان تيبو الشهيد الذي يتهمه بعض المغرضين بممارسة الظلم ضد بعض الفئات من غير المسلمين وإجبارهم على اعتناق الإسلام، يقول عنه المؤرخ الهندوسي رام سندر رائي:

"إنه لم يجبر أحداً بل ان خمسمائة شخص اعتنقوا الإسلام طواعية" وكان يوجد عديد من البراهمة في بلاطه على مناصب رفيعة، وكان يرسل هدايا إلى القائمين بشئون المعابد الهندوسية، و مازالت بعض الهدايا العينية منها موجودة في معبد "رنكناث" في "سري رنكابتنم".

ولم يقدم ببناء المسجد عند القصر حيث كان المعبد الهندوسي موجودا هناك منذ زمن بعيد إلا بعد الاستشارة مع الكهنة والتنسيق معهم تجنبا من وقوع الفتنة بين المسلمين والهندوس.

بين المناظرة والحوار

كان الاستعمار البريطاني بدأ بسط سيطرته تدريجياً على الهند من

---

(٢) تقسيم الهند ص ٣٩.

خلال شركة الهند الشرقية إلى أن امتلك ناصية أمور الدولة كاملة في عام ١٨٥٧م وقضى على حكم المسلمين المستمر منذ نحو ثمانية قرون.

و مع بداية الحكم الإنكليزي توافدت جموع من المبشرين النصارى وقامت بحملة شعواء ضد الإسلام وبدأ القساوسة بالتشكيك في القرآن وفي عقائد المسلمين فقام نخبة من العلماء المسلمين بعد تلك الهجمات فألّفوا الكتب' وألقوا المحاضرات' وخاضوا المناظرات وكان في طليعة هؤلاء العلماء الشيخ الإمام العلامة رحمة الله الكيرانوي مؤلّف كتاب "إظهار الحق" الشهير الذي لم ينسج على منواله ومؤسس المدرسة "الصولتية" في مكة المكرمة ومساعده الدكتور وزير خان والشيخ الإمام محمد قاسم النانوتوي المتوفي سنة ١٢٩٧هـ ومؤسس "جامعة ديوبند الإسلامية" في الهند والشيخ محمد علي المونجيري مؤسس "ندوة العلماء" بلكناؤ و "الجامعة الرحمانية" بمونجير، والشيخ عنايت رسول الجريا كوتي وآخرون.

ثم انضم الهندوس أيضاً إلى النصارى في الهجوم على معتقدات المسلمين واتخذت الاجتماعات المشتركة عنوان: "مهرجان معرفة الإله" (ميله خدا شناسي) يشارك فيه الجماهير من أتباع الديانات الثلاثة: الإسلام، المسيحية، الهندوسية. وكانت لهذه المهرجانات صدى واسع فقد كانت مناظرات شعبية يحاول فيها كل فريق إظهار تفوقه وبراعته على الآخرين.

وكان الشيخ محمد قاسم النانوتوي يتمتع بذكاء خارق، وقدرة نادرة على إقامة أدلة قوية وبراهين دامغة وكان نتيجة ذلك ظهور كتب مثل "مباحثة شاهجانفور" وانتصار الإسلام، وحجة الإسلام، و"قبله نما" وهي

تزخر بأدلة عقلية على اثبات التوحيد، و وجود الخالق وإثبات النبوة والرد على الإلحاد، والشرك، ودحض مفتريات الأعداء.

فكان شأن هؤلاء العلماء شأن الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتابه: "الجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح" والإمام ابن القيم رحمه الله في كتاب "هداية الحيارى من اليهود والنصارى" مع اختلاف الزمان والمكان وتنوع الأدلة والبرهان، وكان من أنجح المناظرين وأبرعهم الشيخ رحمة الله الكيرانوي الذي هزم القسيس "فندر" و سار على نهجه الشيخ أحمد حسن ديدات الذي هزم القسيس"سواغارت".

أما الحوار الذي تتطلبه الظروف الراهنة والذي دعا إليه خادم الحرمين الشريفين وتبنته رابطة العالم الإسلامي مشكورة فهو يختلف عن روح المناظرات الدينية وطبيعتها.

إن هدف الحوار هو صد الفتنة والحيلولة دون هجمة شرسة ومنع الإساءات المتكررة ضد الإسلام وضد نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم.

وإن انقاذ ما يمكن انقاذه هدف نبيل وإن حث أتباع الديانات والفلسفات الوضعية على أن يجتمعوا حول طاولة الحوار على اختلاف وتباين المعتقدات للبحث عن سبل التعايش الآمن مطلوب شرعا وعقلا.

وإيجاد عالم يسود فيه السلام ويستطيع أن يعيش فيه الإنسان من غير خوف من تفجير أو تدمير ومن قتل بغير حق أو إرهاب، وإيجاد مجتمع إنساني يحرص كل فرد منه على إيصال الخير إلى غيره ولا يشبه غابة موحشة يريد كل كائن منها افتراس من تجده أمامه.

إن مثل هذا الحوار يهدف إلى دعوة الناس إلى السلام الذي يدعو إليه الإسلام، والاتفاق مع أتباع الفلسفات الوضعية على حفظ الأنفس والأعراض، والتعاون على حفظ العقول والأديان والأموال، وإن صيانة هذه الأشياء من الإعتداء عليها هي من مقاصد الشريعة الإسلامية.

و من خلال الحوار مع أتباع الفلسفات الهندوسية والبوذية يمكن تفنيد تلك الإشاعات المغرضة التي تم ترويجها بهدف توسيع هوة الخلاف بين المسلمين والهندوس والبوذيين بأن الحكام المسلمين مارسوا الظلم والتعسف ضد الهندوس فقاموا بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال وهدم المعابد والأصنام، وقد تسربت هذه الإشاعات المغرضة إلى بعض كتب المناهج الدراسية ما يؤثر سلباً على الجيل الجديد من الهندوس ويثير حفظيتهم ضد المسلمين مع أن الحقائق التاريخية تفند تلك الأكاذيب وأن المنصفين من المؤرخين غير المسلمين من أمثال البروفيسور "رام شرما" و "تارا شندر" و "بي.إن باندي يؤكدون أن تعامل الحكام المسلمين مع الهندوس كان بمنتهى العدل طوال فترة حكم كلي أو جزئي للمسلمين منذ عصر محمد بن قاسم الثقفي ٧١١م إلى نهاية حكومة بهادر شاه ظفر آخر ملوك المسلمين في عام ١٨٥٧م ولم يتم إرغام أحد على قبول الإسلام لأن الإسلام لا يقر بذلك ولأن وجود الأكثرية الهندوسية حوالي دلهي ولكناؤ، وأحمد آباد وأكبر آباد وغيرها من العواصم أكبر دليل على ذلك.

كما أن المؤرخ الإنكليزي المعروف "سر تامس آرنلد" في كتابه دعوة الإسلام (Preaching Of Islam) يثبت ذلك بأدلة واضحة أن المسلمين لم يجبروا

الهندوس على قبول الإسلام.

لذا ينبغي أن يفتح باب الحوار وحول كافة النقاط الحساسة وفي ضوء المعلومات والوثائق الدقيقة و في جو التفاهم بين المتحاورين.

ضرورة الحوار ومجالاته:

إن الحوار بين الحضارات وكذلك بين ممثلي الأديان والمذاهب وأتباع الفلسفات الوضعية ضرورة إنسانية ملحة لأننا نعيش في عصر اشتد فيه الصراع بين الشعوب، وانتشر النزاع بين الأمم، وتراجعت فيه القيم الإنسانية: العدل والصدق والمساواة، مع أن هذا العصر قد تكاثرت فيه وسائل الإقتراب والاتصال وأصبح فيه العالم بمثابة قرية صغيرة وزادت فيه قدرات الإنسان على احتواء المسموعات والمرئيات والمنقولات عبر الأثير والمرسلات على جناح الشبكات العنكبوتية وكان من مقتضيات هذه الثورة الصناعية والمعلوماتية أن تسود في العالم مبادئ التعاون والتفاهم وظروف التصالح والتعايش.

إن الإسلام رسالة السماء ودين البشرية جمعاء و إن نبي الإسلام أرسل رحمة للعالمين وان القرآن الكريم يحث على مبدأ الحوار بين أهل الديانات المختلفة ويدعوهم إلى كلمة سواء.

و إن الحوار مع أتباع الفلسفات الوضعية الذين يؤمنون بالهندوسية أو البوذية أو الجينية أو السيخية أو الكنفوشيوسية أو الطاوية أو الشنتو وغيرها ويتواجدون بكثافة في الهند والصين واليابان وغيرها يمكن أن يكون في مجالات عديدة فهناك تاريخ حافل بالتعاون مع اختلاف المعتقدات والأفكار أو الفلسفات.

إن الحوار يختلف عن "المناظرات" حيث أن المناظر يحرص على إفحام الخصم بينما يكون المحاور حريصاً على إقناع من يجري معه الحوار وهو الأمثل في هذا العصر.

إن الذين يتبعون الفلسفات الوضعية مثل البوذية، والهندوسية، لا يستهان بعددهم فهم معظم سكان الهند والصين واليابان وبتأثيرهم في ما يشهده العالم من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية خطيرة، فالصين بمبادئها الشيوعية وشعبها البوذي وكذلك اليابان بصناعتها الفائقة مع تمسك شعبها بالبوذية عموما من الدول العملاقة، والهند بتراثها وعدد سكانها وانتعاشها الاقتصادي من الدول الناهضة والمؤثرة لذا يجب البحث عن نقاط الاتفاق والاختلاف بين ما يؤمن به شعوبها وبين مبادئ الدين الإسلامي الحنيف.

لذا ينبغي أن يفتح باب الحوار وحول كافة النقاط الحساسة وفي ضوء المعلومات والوثائق الدقيقة وفي جو التفاهم بين المتحاورين.

ولا ينبغي أن يقتصر الحوار بين علماء الدين من المسلمين والكهنة ورجال الدين من الهندوس والبوذيين وغيرهم من أهل الديانات الشرقية كما لا ينبغي أن يكون الحوار حول صحة أو بطلان ما يعتقده كل طرف من أطراف الحوار بل ينبغي ان يكون موضوع الحوار هو إمكانية التعايش مع التعدد والاختلاف في وجهات النظر والمعتقدات، و إبراز ما في تعاليم كل الأديان من جوانب التسامح مع الإنسان عموماً والتأكيد على التعامل بالرفق مع كل كائن حي مهما صغر حجمه و كثر عدده و المكانة التي يحظي بها الإنسان بين تلك الكائنات الحية، فإن روح الإنسان أعلى منزلةً و أغلى ثمناً و إن إزهاقها من غير حق أعظم جريمة و أكبر معصية.

إن الحوار الإسلامي المسيحي قد فشل رغم استمراره منذ أكثر من أربعين عاماً بسبب اقتصاره على رجال الدين لذا يجب توسيع دائرة الحوار لتشمل المعتدلين من رجال السياسة و رجال الفكر والثقافة أيضاً لأنهم يملكون أدوات التأثير في الجماهير أكثر مما يملكه الكهنة ورجال الدين المنعزلين في الصوامع والمعابد.

و ينبغي أن يكون الحوار حول النقاط التالية:

- أهمية التعايش الآمن مع أتباع الديانات المختلفة.
- ضرورة التعاون لنشر الفضيلة و محاربة الرذيلة في المجتمع ومحاربة تيارات الفساد الأخلاقي والإلحاد على كافة المستويات.

- التعاون في مجال مساعدة الفقراء و إغاثة المنكوبين في الكوارث الطبيعية من خلال مؤسسات طبية و اقتصادية خيرية مشتركة خاصة في وقت الأزمات الكبيرة مثل الحروب والفيضانات والزلازل.
- الاتفاق بين كافة أهل الديانات على عدم الإساءة إلى المقدسات الدينية مثل القرآن الكريم و الرسول صلى الله عليه وسلم والكعبة المشرفة و كذلك عدم الإساءة إلى رموز أهل الديانات الأخرى.
- تكوين إتحاد عالمي لكافة أهل الديانات لمواجهة تيارات العلمانية والإباحية الأخلاقية التي ترفضها الفطرة الإنسانية وتحرمها كافة الأديان والفلسفات ذات أهمية ومصداقية.
- إبراز جوانب الرفق من تعاليم كافة الأديان ونشرها بين الناس عبر الإذاعات والتلفاز ووسائل النشر والإعلام الأخرى.
- إيجاد أرضية مشتركة للتعاون بين أهل الملل والأديان من أجل تحقيق السلام العالمي.
- تأسيس جمعيات تعاونية مشتركة من أجل الحفاظ على أمن البلاد من خلال توعية الشعوب والجماهير بأن إزهاق أرواح الأبرياء جريمة ومعصية في كافة الأديان وإن حرق البيوت والمصانع ليس إلا تدميراً للبلاد وقطعاً وإفساداً لإمكانات التنمية و النهوض في المجالات الاقتصادية والتعليمية.
- إمكانية التعايش الآمن مع أتباع الديانات الأخرى خاصة مع المسلمين.

- الاتفاق حول الآداب والأخلاق المتفق عليها بين كافة أهل الأديان والمذاهب ودعوة عامة الناس وجماهيرهم إليها.
- التركيز على المبادئ الإنسانية وإبراز قيمة حياة الإنسان حتى لا تهدر دماء الناس من أجل شجرة أو بقرة.
- التعاون مع كافة أهل الأديان في إسداء الخير إلى الإنسانية وفي مجالات إغاثة المنكوبين ومساعدة الملهوفين من خلال مؤسسات طبية واقتصادية خيرية مشتركة خاصة في الأزمات الكبيرة مثل الحروب والفيضانات والزلازل.
- الامتناع عن الإساءة إلى المقدسات الدينية مثل القرآن، والرسول – صلى الله عليه وسلم- والكعبة المشرّفة.
- تكوين اتحاد عالمي للديانات والفلسفات الوضعية من أجل مواجهة التيارات العلمانية، والإباحية الأخلاقية التي ترفضها الفطرة الإنسانية، وتستنكرها كافة الأديان والفلسفات ذات مصداقية.
- إبراز جوانب الرفق من تعاليم الأديان حفاظا على السلام والمناخ الآمن من أجل التطور الإنساني والتنمية البشرية الشاملة.
- إيجاد المناخ للتعاون بين أهل الملل المختلفة والتعاون بين أهل الديانات المختلفة من أجل تحقيق السلام العالمي.
- عقد اللقاء مع زعماء البوذيين والهندوس خارج الوطن العربي. من أجل التفاهم حول التعايش الآمن.

هذه و غيرها من النقاط والأسس التي ينبغي أن يدور حوله الحوار بين

أتباع الأديان والملل و بذلك يمكن إنقاذ البلاد والعباد من مسلسل الأحداث الطائفية والخسائر البشرية و المادية، **والله من وراء القصد.**

إن مواصلة الحوار مع أهل الأديان وأتباع الفلسفات الوضعية سوف تفتح قلوباً غلفاً، وتُسمع آذاناً صماً، وتبصر أعينا عمياً لقبول الحق والصدق بتوفيق من الله سبحانه وما ذلك على الله بعزيز.

كشف المراجع:

١	تاريخ الإسلام في الهند	د. عبد المنعم النمر
٢	أديان الهند الكبرى	د. أحمد شبلي
٣	ثقافة الهند	مجلة حكومية
٤	حضارة الهند	غوستاف لوبون
٥	دائرة معارف القرن العشرين	محمد فريد وجدي
٦	حقائق الإسلام وأباطيل خصومه	عباس محمود العقاد
٧	بوذا الأكبر	حامد عبد القادر
٨	الأدب الهندي المعاصر	محي الدين الألوائي
٩	المعتقدات الدينية لدى الشعوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٠	فلسفة الهند القديمة	عبد السلام الرامفوري
١١	تحقيق ما للهند من مقولة	أبو الريحان البيروني
١٢	الأديان الحية	أديب صعب
١٣	المقدمة	ابن خلدون
١٤	الفكر الصيني	ترجمه: عبد الحليم سليم
١٥	البوذية	هنرى ارقون
١٦	الديانات الوضعية الحية	د. محمد العربي
١٧	العقل والنقل	تقي العثماني
١٨	قصة الحضارة	ويل ديورنت
١٩	انجيل بوذا	ترجمة: سامي سليمان
٢٠	البوذية	هنري أرفن
٢١	سيرة السلطان تيبو	محمد إلياس بتكلي
٢٢	المناظرة الكبرى	رحمة الله الكيرانوي

٢٣	الهوة المتزائدة	د. رفيق زكريا
٢٤	دعوة الإسلام	البروفيسور آرنلد

و كتب أخرى ذات صلة بالموضوع.

المحتويات

العنوان	الصفحة
ضرورة تصحيح المفاهيم من خلال تفعيل سبل الحوار	٥
الحوار مع أتباع الأديان والملل	٨
الحوار وأثره في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم	١٤
حوار مع أتباع الفلسفات الوضعية	٥٦